إعجاز القرآن: الأمثال

د. حسين نصار

لوحة الغلاف (محمد نبى الرحمة)

وقد صممت هذه اللوحة خصيصاً لهذا الغلاف بإستخدام الكمبيوتر وهى من الأعمال الخاصة

بالفنان سامى بخيت/ وهو من مواليد الخوالد / اسيوط ١٩٥٩م.

- تخرج من كلية الفنون التطبيقية (قسم الزخرفة) ١٩٨٢م.
- دبلوم الآثار الأسلامية ١٩٨٧/ ماجستير الفنون التطبيقية ٢٠٠٢م.
- مصمم جرافيك بالهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حصل على أكثر من (١٥) جائزة فى جميع مجالات الفن التشكيلى.
- أقام أكثر من (٨) معارض فنية بالداخل والخارج.
- أقام أول معرض للرسم بالكمبيوتر فى مصر عام ١٩٩٢م.
- القيام بتصميم البوسترات الخاصة بمهرجان القراءة للجميع ومعرض القاهرة الدولى للكتاب خلال عدة دورات.

•••••••••

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصدراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً فى المكتبة العربية، وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى، وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص. ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى **«مكتبة الأسرة»**.. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ **سوزان مبارك**..

د. سمير سرحان



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الدينية)

إعجاز القرآن: الأمثال
د. حسين نصار

الغلاف
والإشراف الفني:
الفنان : **محمود الهندى**
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

كلمة

الأمثال أحد المجالات التى أعلن كثير من العلماء أن الإعجاز القرآنى يتجلى فيها تجليًا واضحًا، لأنها فى القرآن ذات تفرد يجذب الأبصار، ويكسب الإعجاز، ويثير الشهية إلى البحث سعياً وراء الكشف عن أسرارها التعبيرية البالغة الغاية فى الجمال.

وهذا الكتاب محاولة منى لتتبع ما كشفه الكتاب، على مر العصور من هذه الأسرار، وكشف ما اعتراها من طرح أو عناية، ومن تبديل أو تطوير، ومن نقص أو إضافة، هو محاولة لتاريخ تفكير هؤلاء الكتاب تاريخاً دقيقاً، يعطى كل فكرة ما هو حق لها.

وقد راعيت فيه ما راعيته فى إخوة له أصدرتها قبله.

فعددت مبدأ الحديث البشرى عن الفكرة مبدأ لظهورها. على الرغم من أن كثيراً من هذه الأفكار موجود فى القرآن أو الحديث كامناً أو ظاهراً، وإنما فطن إليها العلماء واحداً بعد واحد، فكشفوا الغطاء عنها.

ورتبت الكتاب وموضوعاته وعناصره ترتيبًا تاريخيًا، ليكون كل شيء فيه كاشفًا لتسلسله التاريخي، مما أدى إلى أن يتصف الكتاب ببعض الغرابة في تنسيقه لمخالفته الأعراف السائدة الآن في التبويب والتفصيل.

وقد اتخذت من تاريخ وفيات الأعلام القدامى مقياسًا للترتيب، على الرغم من علمي بما فيه من جور، لأن المتأخر في الوفاة قد يكون متقدمًا في الميلاد، ولأن المتأخر وفاة من المتعاصرين قد يكون السابق في إصدار كتابه.

أما المحدثون فقد اتخذت من تاريخ طبع الكتاب لأول مرة مقياسًا للترتيب، ولكن الأمر لم يسلم بين يدي كل السلامة، فما أكثر ما عجزت عن العثور على تاريخ الطبعة، بل على الطبعة الأولى نفسها والاضطرار إلى الاعتماد على طبعات تالية متأخرة كل التأخر، مع علمي بأن كثيرًا من المؤلفين - وبخاصة مؤلفي الكتب الدراسية - ينقحون ويزيدون وقد يحذفون في مثل هذه الطبعات.

والمنهج الأمثل يوجب الحصول على جميع طبعات كل واحد من هذه المصادر، واستقصاء الإضافات والتغييرات التي أُجريت عليها، والبحث عن مصادرها، ليسلم الرصد التاريخي. ولكن ذلك لم يتم لي. ولعل من يقوم - بعدي - بالتأريخ لواحد من الرجال الذين تعرضت لهم، أو واحدة من الجزئيات التي تناولتها، يوفق إلى ما لم أستطع.

وراعيت - في التعليقات التي أوردتها أسفل الصفحات - الأمور التالية:

١ ـ بدأت بذكر أقدم المصادر التى أوردت المعلومة التى أخذتها منها.

٢ ـ عدلت عن المصدر الأقدم ـ أحياناً ـ إلى مصدر متأخر لأنه نسب المعلومة ـ إن كانت قولاً أو رأياً ـ إلى صاحبها، وابتدأت بهذا المصدر المتأخر.

٣ ـ إن أوردتُ مصادر أخرى بعد النوعين السابقين من المصادر مباشرة، وفى سطرها نفسه، وتحت أرقامها عينها، كان فى ذلك إشارة إلى أن هذه المصادر أخذت المعلومة من المصدر الأصلى، واتفاقها معه فى صيغة القول أو الرأى، وفى نسبته إلى صاحبه. ومعنى ذلك أننى لم أذكر فى المتن المصادر التى اتفقت مع المصدر الأصلى، ولا أشرت إليها، اكتفاء بإيرادها فى التعليقات.

٤ ـ إن أوردتُ مصادر أخرى، فى الرقم نفسه، وبعد كلمة (انظر) فمعنى ذلك أن هذه المصادر لم تنسب القول إلى صاحبه.

٥ ـ أوردت أسماء أصحاب هذه المصادر وعناوينها على ما يسمى فى النحو بـ «الحكاية»، أى دون أن أخضعه لقواعد الإعراب، فأقول مثلا: انظر أبو موسى... وأمثاله.

٦ ـ اضطررت أحياناً قليلة ـ إلى أخذ معلومات من مصادر حديثة، لأننى عجزت عن الوصول إلى المصادر الأصيلة، على الرغم من البحث المتواصل عنها.

٧ ـ لم أورد النصوص التى أخذتها من المصادر برمتها، وإنما تصرفت فيها بالاختصار أو الإضافة للتوضيح وإلا صار الكتاب كله

نصوصاً منقولة نقلاً كاملاً، كما صححت منها الكلمات التى أيقنت أن خطأ مطبعياً أو تحريفاً أصابها.

ومعرفة إعجاز القرآن أمر عظيم الأهمية، فقد حث الباقلانى ـ فى القرن الهجرى الثالث ـ على دراسة الإعجاز، ورآها أحق بكثير مما ألفه علماء اللغة والكلام. وبرر ذلك بأن نبوة محمد بن عبدالله مبنية على هذا الإعجاز[1].

كذلك حث الجرجانى على هذه الدراسة ضمناً، فى حثه على قراءة كتاب «دلائل الإعجاز» إذ قال: ينبغى لكل ذى دين وعقل أن ينظر فى الكتاب الذى وضعناه، ويستقصى التأمل لما أودعناه[2].

وعاد الزركشى إلى التصريح بالعلم، فرأى أنه علم جليل عظيم القدر، لأن نبوة النبى معجزتها الباقية القرآن، وذاك يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز[3].

وبرر موسى شاهين لاشين فى العصر الحديث الاشتغال بهذا العلم بأن أهميته تتضح فى أنه متى ثبت إعجازالقرآن، ثبت أنه ليس من كلام محمد، وثبت أنه كلام الله وحده، وثبتت نبوة محمد، وثبت كل ما جاء به القرآن، بل ثبتت الأديان الصحيحة والكتب الإلهية كلها، لأن القرآن هو الشاهد الخالد بها[4].

ورأى البوطى الحديث عن إعجاز القرآن من أهم الأبحاث المتعلقة بالقرآن وآدابه وعلومه، وهو لبها وجوهرها، وأساسها وعمدتها[5].

وذهب عمر الملا حويش إلى أن دراسة إعجاز القرآن أمر تستلزمه العقيدة الإسلامية، لأن المسلمين مدعوون قاطبة للإيمان بهذا القرآن عن فهم لمعانيه، ومعرفة بوجوه إعجازه(٦).

وصرح عبدالقهار العانى: لئن كانت الكتابة فى إعجاز القرآن فى الماضى ضرورية، مع ظهور العلم وانتشاره، وارتفاع علم الإسلام وانتصاره، فنحن - اليوم - أكثر مما سبق حاجة: وأشد إغراباً، وأقل إيماناً، وأكثر جهلاً(٧).

حسين نصار

---

(١) إعجاز ٥، ٨. صقر ٦٧. ضيف ١٠٨. أبو موسى ١٨٦.
(٢) دلائل ٩.
(٣) البرهان ٢/ ٩٠. وانظر الإتقان ٢/٣٢٨.
(٤) اللآلئ ٢٤٣.
(٥) من روائع ١٤٧.
(٦) تطور ٢١٧.
(٧) دراسات ١٧٧.

١. غاياتها

جاء فى القرآن، فى أكثر من آية، أن الله صرّف الأمثال، أو ضربها، وكشف ـ فى بعض الآيات ـ عن الأهداف التى أرادها منها، فكانت هدفين:

١ ـ التذكير، قال: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾[١].

٢ ـ التفكير، قال: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾[٢].

ومن ثم لا نعجب إذا رأينا كل المفسرين، ومن تناولوا الأمثال بالحديث، وتعرضوا لغاياتها، يذكرون هذين الهدفين، والأول بخاصة[٣].

٣ ـ الاعتبار: أضافته الأحاديث النبوية. روى محمد بن الطيب الباقلانى عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد، وعلى حرف واحد، ونزل القرآن على سبعة أبواب، وعلى سبعة أحرف: زاجر، وآمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فأَحِلوا حلاله... واعتبِروا بأمثاله»[٤].

وروى بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى نحوه عن عبدالرحمن ابن صخر الدوسى المعروف بأبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فاعملوا بالحلال.. واعتبروا بالأمثال»[٥].

وتبعهما المفسرون والمؤلفون[٦].

٤ ـ التبيين: ذكر د. محمد جابر الفياض أن عبدالله بن عباس فسّر ضرب المثل فى القرآن بتبيينه إلا فى خمسة مواضع[٧].

وعبر محمود بن عمر الزمخشرى عن ذلك. فى قوله: لضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأن ليس بالخفى فى: إبراز خبيئات المعانى، ورفع الأستار عن الحقائق[٨]؛ وفى قوله: التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب[٩].

وجعلها عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير: تقريب المراد من المعقول[١٠].

وصرح الزركشى بأن حقيقة الأمثال إخراج الأغمض إلى الأظهر[١١]، وأنها أعون شىء على البيان[١٢].

وجعلها محمد بن محمد العمادى المعروف بأبى السعود أقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبى[١٣].

وسماها د. محمد سعيد رمضان البوطى: تقريب البعيد[١٤].

وحور د. بكرى شيخ أمين ثالث أقوال الزمخشرى إلى: الكشف عن الحقائق[١٥].

وفسر محمود بن الشريف التبيين بتفصيل المجمل، وتوضيح المبهم[١٦].

وشرح عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى قول القرطبى بتقريب صورة الممثَّل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل. فقد يكون لدى المخاطب نوع جهالة حول الممثل له، ويراد رفعها عنه. والتمثيل قد يكون وسيلة سهلة للتعليم ورفع الجهالة. بل ربما كان أحسن الوسائل عند تعذر إحضار الممثل له، أو إحضار صورته بالفعل، أمام المخاطب الذى يراد رفع الجهالة عنه[١٧].

ومن ثم قال د. الشريف منصور بن عون العبدلى: الأمثال ضرب من البيان، ووسيلة من وسائل الإيضاح، والكشف كشفًا واضحًا جليًا، كان ولايزال، فى كل لغة[١٨].

وذهب سميح عاطف الزين إلى أن أهداف الأمثال فى القرآن عديدة ومتنوعة. ولكن أقربها إلى عقولنا... تقريب الأمور الغيبية إلى الذهن، فيستطيع فهمها بأهون السبل وأيسر الطرق[١٩].

وعلل د. محمد رأفت سعيد قدرة الأمثال على التوضيح بأنها شواهد المعنى المراد، ومزكية له[٢٠].

وجعل د. محمد جابر الفياض المثل وسيلة من وسائل إيضاح كثير من الأمور الدقيقة والأفكار العميقة[٢١]، وإدراك ما لا يمكن إدراكه من الأمور المكنونة إلا عن طريقه[٢٢].

٥ ـ التخويف: ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره للآية ٢٨ من سورة الزمر، إذ قال: يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفاً منا لهم وتحذيراً. ﴿ولعلهم يتذكرون﴾ يقول: ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله(٢٣).

وجعلها محمد شعبان إسماعيل: الترهيب من كل ما لا يرضى الله ورسوله(٢٤)، ود. الحسينى أبو فرحة: إفزاع القلوب الجاحدة الغافلة(٢٥)، وسميح عاطف الزين: الترهيب من الشر والعقاب(٢٦).

٦ ـ التحذير: ذكرها الطبرى فى النص السابق(٢٧).

٧ ـ الزجر: ذكرها الطبرى فى نصه المذكور(٢٨).

وذهب مناع القطان إلى أن الأمثال أقوى فى الزجر(٢٩). وجعلها د. شعبان محمد إسماعيل: الزجر عن فعل الشر(٣٠).

٨ ـ الهداية: جعل أبو عبدالله محمد بن على الحكيم الترمذى هدف الأمثال هداية النفوس بما أدركت عياناً(٣١).

وذهب محمد الخضر حسين إلى أن الأمثال أحرزت ـ بين الأساليب التى استخدمها القرآن فى هدايته ـ منزلة سامية(٣٢).

وأعلن بكرى شيخ أمين أن الأمثال القرآنية كانت سبيلاً من سبل القرآن إلى العظة والهداية(٣٣).

ووصفها محمود بن الشريف بمزاج من نصح، وأمشاج من هداية، ومقادير من أدوية تقدّم لكل نفس بمعيار وقدر(٣٤).

وجعلها د. الشريف العبدلى من الأنواع التى اشتمل عليها القرآن فى بيان هدايته التى تهدف إلى إصلاح البشرية، فى كل ما يعن لها من مشكلات دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية(٣٥)؛ ود. محمد جابر الفياض من وسائل الهداية والإرشاد، كفيلة بهداية الناس وإنقاذهم مما يتخبطون فيه من ضلالات وجهالات(٣٦)، بل من أجدى وسائل الهداية(٣٧).

٩ - الوعظ: ذكرها الحسن بن عبدالله المعروف بابن خلاد الرامهرمزى(٣٨). وقال عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام: إنما ضرب الله الأمثال فى القرآن تذكيراً ووعظاً(٣٩). وذهب مناع القطان إلى أن الأمثال أبلغ فى الوعظ(٤٠).

ورأى عبدالكريم نيازى أن المواعظ نوعان:

١ - ما كان عن قبيل الأمثال، وهى أبلغ فى تقويم الأخلاق والسلوك، وأعظم تأثيراً فى تخليص القلوب من شوائب الشرك، ونزغات الشيطان، ونزوات الهوى.

٢ - ما كان من قبيل النصح المجرد عن المشابهة والمماثلة، وهو ما يسمى بالوعظ المباشر(٤١).

١٠ - التصوير: ذهب الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهانى، إلى أن المثل عبارة عن قول شىء، يشبه قولاً آخر فى شىء آخر، بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر، ويصوره(٤٢).

ورأى الزمخشرى التصوير علة التوضيح فقال: التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها، لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها(٤٣).

١١ ـ إبراز الغائب كأنه مشاهد: إحدى الوظائف التى أتى بها الزمخشرى[٤٤]. وأعتقد أن سهواً ألم بالزركشى حين جعل الغرض من المثل تشبيه الشاهد بالغائب[٤٥].

وجعل محمد الخضر حسين العبارة: تشبيه الغائب بالحاضر[٤٦]، ومحمد الغزالى: جعل الغائب ـ أو الغائب عن الذهن ـ حاضراً[٤٧]، وبكرى شيخ أمين: عرض الغائب فى معرض الحاضر[٤٨].

١٢ ـ إدناء المتوهَّم من المشاهَد: قالها الزمخشرى[٤٩].

١٣ ـ إبراز المتخيَّل فى صورة المحقَّق: مما أتى به الزمخشرى[٥٠].

١٤ ـ إبراز المتوهَّم فى معرض المتيقَّن: من زيادات الزمخشرى[٥١].

١٥ ـ تبكيت الخصم الألدّ: من زيادات الزمخشرى[٥٢].

١٦ ـ قمع سَورة الجامح الأبىّ: من زيادات الزمخشرى أيضاً[٥٣].

١٧ ـ الإقناع والتصديق: ذكر أحمد بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية أن مما يراد بالمثل الثبوت والتصديق به[٥٤].

وقال محمد الخضر حسين: للأمثال أثر بليغ فى تلقى الدعوة بالقبول[٥٥].

وصرح مناع القطان: كم من معنى جميل، أكسبه التمثيل روعة وجمالاً. فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به[٥٦]، وصرح: الأمثال أقوم فى الإقناع[٥٧].

وذكر د. بكرى شيخ أمين من فوائد الأمثال أنها تثبت المعنى فى الذهن، وتدفع إلى الإقناع بأوجز سبيل(٥٨)؛ ود. شعبان محمد إسماعيل

أن ضابط المثل إبراز المعنى فى صورة حسية، تكون ذات أثر طيب فى الإقناع والإفهام(٥٩)؛ وحنبكة الميدانى إلى أن من أغراض الأمثال الإقناع بفكرة من الأفكار. وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة المشابهة(٦٠).

وذهب سميح عاطف الزين إلى أن الأمثال للتأثير فى تبليغ الدعوة وحملها، بحيث تضع الإنسان أمام صور من الوجود، لا تخلو منها الحياة فى كل زمان ومكان، وكانت وسيلة من وسائل إبلاغ الدعوة وإيصالها إلى العقول والنفوس(٦١)؛ ود. محمد بكر إسماعيل إلى أنها من أهم الأساليب البيانية المقنعة للعقل، وهى من أجل ذلك تحفر لنفسها فى الذهن مكاناً وتمثل فى الذاكرة، فلا تنسى(٦٢).

١٨ - تشبيه شيء بشيء فى حكمه: جعله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية من مقاصد الأمثال(٦٣).

١٩ - تقريب المعقول من المحسوس: ذكره ابن القيم(٦٤).

وجعل الزركشى من فوائد الأمثال: تصوير المراد فى صورة المحسوس(٦٥)، بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس(٦٦).

وعبر أبو السعود عن هذا المقصد بإبراز المعقولات فى معرض المحسوسات الجلية، أو تصوير المعقول بصورة المحسوس(٦٧)، أو تحلية

المعقول بحلية المحسوس[٦٨]؛ ومحمد الغزالى بجعل المعقول محسوساً[٦٩]؛ ومناع القطان بتشبيه المعقول بالمحسوس، وإبراز المعانى فى صور حية[٧٠]، وأضاف أن المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن إلا إذا صيغت فى صورة حسية قريبة الفهم[٧١].

وذكر السيد أحمد خليل: التمثيل - عند المعتزلة - تحدده خطوط كثيرة، تلتقى عند تجسيد المعنى[٧٢].

وجعله محمود بن الشريف إلباساً للمعنوى ثوب المحسوس[٧٣]، ود. شعبان محمد إسماعيل: إبرازاً للمعنى فى صورة حسية[٧٤].

٢٠ - تقريب أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر: ذكره ابن القيم من المقاصد أيضاً[٧٥].

ورأى د. فؤاد على رضا المقاصد التى ذكرها ابن القيم سبباً من أسباب الاقتناع لتلك النفوس الضحلة الإيمان، الضعيفة البنيان، بما يقدم لها من بالغ كلمه، وبارع حكمه، ورائع مثله، وجميل إرشاده، وجليل توجيهه[٧٦].

٢١ - تشبيه الخَفىّ بالجَلىّ: جعله الزركشى من أغراض الأمثال[٧٧].

وسها د. فؤاد على رضا فحوره إلى: التشبيه بالخفى والجلى[٧٨].

٢٢ - الحث: من زيادات الزركشى[٧٩]. وهى ذات صلة وثيقة بما دعاه ابن الشريف: إغراء النفوس على الخير، وحضها على البر، ودفعها إلى الفضيلة[٨٠].

٢٣ ـ التقرير: من زيادات الزركشي أيضًا[٨١]. وشرحها محمد الخضر حسين بتقرير حال الممثَّل في النفس، حيث يكون الممثَّل به أوضح من الممثل، أو يكون للنفس سابق ألفة وائتناس به[٨٢]؛ ود. أحمد جمال العمرى بتقرير المقصود[٨٣]؛ ود. الشريف العبدلي بتوضيح الحق وتقريره، وبيان الباطل وزيفه، وتقرير الأحكام في النفوس، وتقرير المعنى الذي يراد كشفه في النفس، سواء كان ذلك المعنى المراد إبرازه حسنا أو قبيحًا، كالأمثال التي تعتمد على التشبيه أو على ما يعتمد التشبيه عليه كالاستعارة[٨٤].

٢٤ ـ تعليم البيان: جعلها الزركشي من حكمة القرآن. ثم أخطأ فعدها من خصائص هذه الشريعة[٨٥].

٢٥ ـ تسخير الوهم للعقل، واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه: أتى بها أبو السعود، وشرحها في قوله: استمالة الوهم، واستنزاله عن معارضته للعقل وعن استعصائه عليه، في إدراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الأبية، كي يتابعه فيما يقتضيه، ويشايعه إلى ما يرتضيه[٨٦]. وجعل الأمثال ألطف وسيلة لأداء هذه الوظيفة[٨٧].

٢٦ ـ إبداء المنكر في صورة المعروف: من زيادات أبي السعود[٨٨].

٢٧ ـ إظهار الوحشي في هيئة المألوف: من زيادات أبي السعود[٨٩].

٢٨ ـ إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهور: من زياداته[٩٠].

٢٩ ـ تصوير أوابد المعانى بهيئة المأنوس: من زياداته أيضًا[٩١].
وجليٌ أن الوظائف الأربعة الأخيرة شديدة التقارب، بحيث يمكن عدها وظيفة واحدة.

٣٠ ـ الترغيب: ذكر محمد الخضر حسين أنها من فوائد الأمثال، وجعلها الترغيب فى الممثَّل حيث يكون الممثَّل به مما تستحسنه النفوس وترغب فيه[٩٢]، وشعبان إسماعيل: الترغيب فى الأعمال الخيرة[٩٣]، ود. الحسينى أبو فرحة: الترغيب فى الإيمان[٩٤]، وسميح عاطف الزين: الترغيب بالخير والثواب[٩٥].

٣١ ـ التنفير: ذكرها محمد الخضر حسين، وأراد بها التنفير من الممثَّل حيث يكون الممثَّل به مما تكرهه النفوس وتنفر منه[٩٦]، وحورها مناع القطان إلى التنكير[٩٧]، وجعلها د. الحسينى أبو فرحة: التنفير من الشرك[٩٨].

٣٢ ـ الاحتجاج: زاده محمد الخضر حسين. وشرحه بالقول: حيث يلزم من تسليم الممثل به، وإدراك أن الممثل مطابق له، الرجوع إلى الاعتقاد الحق[٩٩].

٣٣ ـ التأديب والتربية: جعلها د. عبدالمجيد عابدين مقصداً للمثل القياسى[١٠٠]. واعتماداً على هذا وصف د. فؤاد على رضا المثل بالمدرس، والمربى للناس، والمعلم بأصول قديمة وتاريخ يملك حجته وإيجابيته[١٠١]، وصرحت د. إحسان عسكر: اعتمد القرآن على الأمثال كأسلوب من أساليب التبليغ التربوى التعليمى[١٠٢].

٣٤ ـ قياس النظير على النظير: ذكرها مناع القطان[١٠٣].

٣٥ - جمع المعنى الرائع فى عبارة موجزة: ذكرها مناع القطان[١٠٤]. وذكر د. عبدالله محمود شحاتة أن المثل يرمى إلى إبراز المعنى فى صورة رائعة موجزة لها وقعها فى النفس[١٠٥]. وعبر عبدالرحمن حسن حبنكة عن ذلك بتقديم أفكار غزيرة جداً ودقيقة، يحتاج بيانها عن طريق المثل كلامًا كثيراً قد يصل إلى عشرات الصفحات وأكثر من ذلك، فيدل عليها المثل بأخصر عبارة[١٠٦].

٣٦ - تهويل ما ينبغي تهويله من معانى التهديد والوعيد: ذكرها د. محمد سعيد رمضان البوطى[١٠٧].

٣٧ - تقريب المعنى الكلى من المعنى الجزئى أو تصوير المعنى الكلى فى بعض جزئياته. ذكرها محمد أبو زهرة[١٠٨].

٣٨ - منع النفوس عن الإثم والمعصية: ذكرها محمود بن الشريف[١٠٩].

٣٩ - دفع النفوس إلى الفضيلة: من زيادات ابن الشريف[١١٠].

٤٠ - دفع الشوائب عن النفوس: من زيادات ابن الشريف[١١١].

٤١ - منع النقائص عن النفوس: من ذكر ابن الشريف[١١٢].

٤٢ - تهذيب الطبائع: من ذكر ابن الشريف[١١٣].

٤٣ - تقليم الغرائز الشريرة: من ذكر ابن الشريف[١١٤].

٤٤ - التخفيف من غلواء النفوس: من ذكر ابن الشريف[١١٥].

٤٥ - الحد من ضراوة النفوس: من ذكر ابن الشريف[١١٦].

٤٦ ـ الطامئة من كبرياء النفوس وغرورها: من ذكر ابن الشريف(١١٧).

وواضح أنه يمكن جعل أرقام ٣٨، ٤٠، ٤١ غاية واحدة، وكذلك أرقام ٤٢ إلى ٤٦.

٤٧ ـ إثارة محور الطمع أو الرغبة، أو محور الخوف والحذر: غرض تكشّف لحبنكة(١١٨) وهو ما سماه بعضهم الترغيب والترهيب، وبعضهم الوعد والوعيد.

٤٨ ـ إيثار تغطية المقصود من العبارة بالمثل، تأدبًا في اللفظ واستحياء: من الأغراض التى تكشفت لحبنكة(١١٩).

٤٩ ـ إبهاج المؤمنين: أحد الأغراض التى ذكرها أبو فرحة(١٢٠).

٥٠ ـ الإصلاح: غرض ذكره أبو فرحة(١٢١).

٥١ ـ التبشير: ذكره أبو فرحة(١٢٢).

٥٢ ـ الإنذار: ذكره أبو فرحة(١٢٣).

٥٣ ـ زيادة التمسك بالمنهج: غرض ذكره د. فؤاد على رضا(١٢٤).

٥٤ ـ تثبيت النفوس على المبادئ، وتأكيد الطريق الصحيح لها: أحد الأغراض التى ذكرها د. رضا(١٢٥).

٥٥ ـ تمييز الحق من الباطل: غاية ذكرها عبدالحى العمرانى(١٢٦).

٥٦ ـ صرف القلوب عن الكفر والجحود: غاية ذكرها العمرانى(١٢٧).

٥٧ ـ التدبر: ذكرها العمرانى(١٢٨).

٥٨ ـ تقريب الأحكام وتقريرها فى النفوس: ذكرها الشريف العبدلى[١٢٩].

٥٩ ـ تقريب الأمور الغيبية: جعله الزين هدفا للأمثال[١٣٠].

٦٠ ـ دعم قضايا فكرية: جعله د. محمد رأفت سعيد أحد الأدوار التى تؤديها الأمثال[١٣١].

٦١ ـ كشف حقيقة الخصوم فى صور مشاهدة: جعله سعيد من أدوارها[١٣٢].

٦٢ ـ كشف شبهات الخصوم: جعله سعيد دورا لها أيضا[١٣٣].

٦٣ ـ تجسيد الحق والباطل، والهدى والضلال: ذكره د. محمد جابر الفياض[١٣٤].

٦٤ ـ الدعوة إلى الله: قال د. محمد بكر إسماعيل: تعددت أغراض المثل فى القرآن حتى جلت عن الحصر، وعزت على الإحصاء والعد، ولكنها ترجع إلى غرض واحد، هو دعوة الناس جميعا إلى الله، وردهم إلى الفطرة التى فطرهم عليها[١٣٥].

٦٥ ـ النصح: ذكره عبد الكريم نيازى[١٣٦].

٦٦ ـ التفكه والتندر. ذكره نيازى غرضا للأمثال عامة[١٣٧].

وعندما فرغ حبنكة من إيراد الأغراض التى تكشفت له من تتبع الأمثال القرآنية، أثار قضية تتصل بهذه الأغراض، إذا أعلن أنه قد يراد من ضرب المثل الواحد أكثر من غرض من هذه الأغراض فى وقت واحد. فبعض الأمثال القرآنية تصلح شواهد لأغراض متعددة.

كذلك كرر سميح عاطف الزين قضية كثرة أغراض الأمثال القرآنية، فأعلن أن أهدافها كثيرة ومتنوعة جدا، ولكثرتها لا يستطيع أن يتعرض لها جميعًا[١٣٨]. وأعلن محمد بكر إسماعيل أن المثل - على إيجازه - يحمل من المعانى الرائعة ما لا تسعه المجلدات الضخام، ويحمل - فى طياته - من المرامى والمقاصد - ما يجعله دستورا للحياة، يحتكم الناس إليه، ويحتجون به، ويسيرون على نهجه وهداه.

ويؤيد هذا القول أن المقاصد التى أوردتها هنا هى تلك التى صرح أوائل من كتبوا أنها أهداف وأغراض أو مقاصد أو ما شابه ذلك من عبارات. وتوجد - إلى جوارها - مجموعة أخرى صرح القدامى أنها ما تشتمل عليه الأمثال أو ما يستفاد منها أو ما إلى ذلك من عبارات، وعدها من جاء بعدهم أغراضاً لها. فآثرت أن أفردها فى فصل خاص أدعوه «مضامين الأمثال».

وإذا أمعنا النظر فيما أثبت من أغراض، وجدنا فئات كما يلى:

فمنها ما اتفق مضمونه واختلفت العبارة عنه، وهى أرقام: ٥ - ٧، ٣١، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٧، ٥١، وأرقام ١١ - ١٤، ١٩ - ٢١، ٢٦ - ٢٩ وأرقام ٣٠، ٥٢ وأرقام ١٧، ٣٢ وأرقام ٢٢، ٣٩. ٤٠ وأرقام ٦١، ٦٢ وأخيراً ٥٥، ٦٣. ولولا أن كاتباً واحداً هو الذى ذكرها أولا، وفى موضع واحد، لجعلتها غاية واحدة.

- ومنها ما يتصل بجزئية من المضمون: أرقام ١٥، ١٦، ٢٢، ٣٣، ٣٨، ٤٢، ٤٩، ٥٣ - ٥٧، ٥٩ - ٦٢، ٦٥، ٦٦.

- ومنها المأخوذ من النص القرآنى أو النبوى، وهى أقدم الغايات فى المعرفة إلى جانب التبيين: أرقام ١، ٢، ٣.

- ومنها الغرض الخلقى الاجتماعى: رقم ٤٨.

- ومنها الهدف العام الذى ينطبق على جميع الأمثال أو جلها: أرقام ٤، ٨، ٩، ١٧، ٥٠. بل إن ٦٤ هدف للقرآن نفسه.

- ومنها ما يتصل بالطريقة التى يسلكها المثل لإنجاز دوره: أرقام ١٠، ١٨، ٢٣، ٢٥، ٣٣، ٣٧، ٥٨، ٦٣.

- ومنها ما يتصل بصورة المثل الفنية: رقم ٣٥.

ووجدنا ابن مسعود أول من التفت إلى غايات الأمثال فى القرآن، وسرعان ما أدركه ابن عباس.

ووجدنا محمود بن الشريف أكثر من أضاف غايات لم يذكرها أحد غيره، يليه الزمخشرى، ثم أبو السعود، ثم الزركشى وأبو فرحة، ثم الطبرى ومحمد الخضر حسين والعمرانى ومحمد رأفت سعيد. ولكن يجب أن نفطن إلى أن كثيراً من الزيادات - وبخاصة عند المحدثين - جزئيات من غايات عامة كان القدماء قد ذكروها.

ووجدنا الغايات التى ذكرها الزمخشرى لقيت من الإقبال أكثر مما نالته غايات أخرى. لا يفوقها فى ذلك إلا الغايات التى ذكرها القرآن والحديث والتبيين والإقناع.

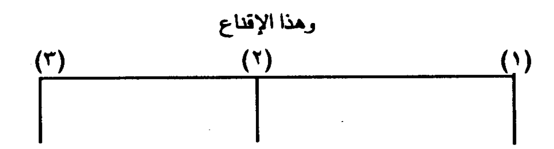
ووجدنا الراغب الأصبهانى والزمخشرى وابن القيم التفتوا إلى الشق الفنى فى هذه الغايات.

جدول أغراض ضرب الأمثال عند حنبكة(١٣٩)

- الغرض الأول: تقريب صورة الممثّل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل،

- الغرض الثانى: الإقناع بفكرةٍ من الأفكار.

وهذا الإقناع

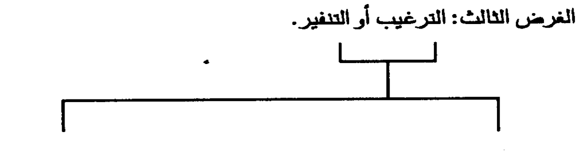


(١) قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية.

(٢) وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية.

(٣) وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة.

الغرض الثالث: الترغيب أو التنفير.



فالترغيب يكون بتزيين الممثل له وإبراز جوانب حسنه، عن طريق تمثيله بما هو محبوب للنفوس مرغوب لديها.

والتنفير يكون بإبراز جوانب قبح الممثّل له عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس، أو تنفر النفوس منه.

- الغرض الرابع: إثارة محور الطمع أو الرغبة فى الإنسان، أو إثارة محور الخوف والحذر.

- والغرض الخامس: المدح أو الذم، والتعظيم أو التحقير.

- الغرض السادس: شحذ ذهن المخاطب، وتحريك طاقاته الفكرية، أو استرضاء ذكائه، لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر.

وهذا النوع من الأمثال يخاطب به الأذكياء، وأهل التأمل والنظر والبحث العلمي، وكبراء القوم.

الغرض السابع: تقديم أفكار كثيرة، بعبارة قصيرة.

- الغرض الثامن: إيثار تغطية المقصود من العبارة بالمثل، تأدباً واستحياء.

الهوامش

(١) سورة إبراهيم ٢٥، الزمر ٢٧ .
(٢) سورة الحشر ٢١ .
(٣) الطبرى ٢٣/١٣٦ . معترك ١/٤٦٤ ـ ٥ . الإتقان ٢/٣٦٤ ـ ٥ . الشوكانى ٣/١٠٦ ، حسين ٢٦ . عابدين ١٣٥ . موسى ٢٣٨ . القطان ٢٩٩ . لاشين ٢٤١ . القاضى ٨٠ . شحاته ٢٤٧ ـ ٨، ٢٦٢، العمرى ١٦٣، ١٦٨ . قمحاوى ٣/٢٩، ٣٠ . المدخل ٤٩٧ . حبنكة ٦٠، ١٠٤، أبو فرحة ٣٧٢ . رضا ١٥٦ . العمرانى ٢٠، ٢٩ . أبو سليمان ١١٧ ـ ٨، ١٣٠ . الفياض ٢٩٤ . أنور الجندى ٤٢ . إسماعيل ٣٣٦، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٦١ . البواب ٨ .
(٤) الانتصار ١/٢٥ . عياض ١/٥٣٨ . العبدلى ٤٦ ـ ٧ .
(٥) البرهان ١/٤٨٦ . معترك ١/٤٦٤ . الإتقان ٢/٣٦٤ . لاشين ٢٣٥ . شحاتة ٢٤٧ . العمرى ١٦٢ . قمحاوى ٣/٢٩ . أبو سليمان ١١٧ .
(٦) موسى ٢٣٨ . لاشين ٢٤١ . شحاتة ٢٤٨، ٢٦٢ . قمحاوى ٣/٣٠ . العمرى ١٦٣، ١٦٨ . أبو فرحة ٣٧٢ . رضا ١٥٦ . أبو سليمان ١١٨ . عبدالحليم الجندى ٤٢ . العبدلى ١٩، ٤٦ . الزين ٨ . الفياض ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٩٤ . إسماعيل ٢٩٤ . البواب ٨ .
(٧) الأمثال ٦٥، ٦٧، ٧١ . وانظر الراغب ٤٦٢ . ابن تيمية ١٤/٣٦ . ابن كثير ٤/٥٦ . الشوكانى ٣/١٠٦ . عابدين ١٣٥، ١٥٨ . رضا ١٥٥ . العمرانى ١٩، ٢٤ . العبدلى ٤٨ ـ ٩، ٣٤٠، جمال ١٦٤ . الزين ٣٣، ٣٩ . سعيد ٥، ٩،٨ . البواب ٨ .
(٨) الكشاف ١/٧٢ . الجوينى ٢٥٣ . الفياض ٨٩ . ونسبه السيوطى فى معترك ١/٤٦٥ . والإتقان ٢/٣٦٥ . القاضى ٨١ . قمحاوى٣/٣٠ . رضا ١٦١ . أبو سليمان ١١٨ . وأوردها سلطان ٣،٥،٦،٧ . المدخل ٤٩٨ دون نسبة، وانظر منير ٧ . العبدلى ٥٧، إسماعيل ٣٥٠ .
(٩) الكشاف ١/١١١، ٣/٤٧٨ . الزركشى ١/٤٨٨ . معترك ١/٤٦٥ الإتقان ٢/٣٦٥، الجوينى ٢٥٣ . قمحاوى ٣/٣٠ . أبو سليمان ١١٨، ونسبها معترك ١/٤٦٥ للأصبهانى . وأوردها دون نسبة شحاتة ٢٦٠، المدخل ٤٩٨ . وانظر العبدلى ٣٤٠ . إسماعيل ٣٥٠ .
(١٠) تفسيره ٤/٥٦ . وانظر الزركشى ١/٤٨٦ . معترك ١/٤٦٥ الإتقان ٢/٣٦٥ . موسى ٢٣٨ أبو زهرة ٢٤٢ . القاضى ٨٠ . أمين ٢٣٠ . لاشين ٢٤١ . العمرى ٢٦٣ . أبو فرحة ٢٧٢ . رضا ١٥٦ . أبو سليمان ١١٨ . سعيد ٥،٨،٩،١٩٣ . البواب ٨ .
(١١) البرهان ١/٤٨٦، وانظر العمرى ١٦٣ .
(١٢) البرهان ١/٤٨٧ . البواب ٨ . وانظر العمرى ١٦٥ .
(١٣) إرشاد ١/٥٠ . رضا ١٥٣ .

(١٤) من روائع ٢١١ .
(١٥) التعبير ٢٣٠ . وانظر المدخل ٤٩٨ . العبدلى ٤٨، ٥٧ .
(١٦) الأمثال ٨ . وانظر رضا ١٥٣ .
(١٧) أمثال ٥٩، ٦١ . وانظر أبو فرحة ٣٧١ . إسماعيل ٣٥٦ .
(١٨) الأمثال ٤٩ . وانظر الفياض ٧، ٣٤، ٤٠٥ .
(١٩) الأمثال ٣٣، ٥٣ . وانظر نيازى ١٧٩ . إسماعيل ٣٤٤ .
(٢٠) دلالات ٥ .
(٢١) الأمثال ٤٠٥ .
(٢٢) الأمثال ٣٤ .
(٢٣) جامع ٢٣/١٣٦ . وانظر مدير ٧ . حبنكة ٥٩، ٨٦ . الفيـاض ٢٩٤ . إسماعيل ٣٣٦، ٣٥٧ - ٦٠ .
(٢٤) المدخل ٤٩٧ .
(٢٥) مأدبة ٣٧١ .
(٢٦) الأمثال ٥١ .
(٢٧) جامع ٢٣/١٣٦ . وانظر ابن كثير ٤/٥٦ . أمين ٢٣١ .
(٢٨) جامع ٢٣/١٣٦ . وانظر الزركشى ١/٤٨٦ . معترك ١/٤٦٥ . الاتقان ٢/٣٦٥ . موسى ٢٣٨ . القطان ٢٩٩، لاشين ٢٤١ . شحاتة ٢٤٨، ٢٦٢ . قمحاوى ٣/٣٠ . المدخل ٤٩٧ . العمرى ١٦٣ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨، ١٣٠ . الفياض ٢٩٤ . البواب ٨ .
ونسبها القاضى - من علوم ٨٠ - للسيوطى .
(٢٩) مباحث ٢٩٩ . وأتى بها غير منسوبة: شحاتة ٢٦٢ . أبو سليمان ١٣٠ .
(٣٠) المدخل ٤٩٧ .
(٣١) الأمثال ٢ . ووانظر مدير ٧ .
(٣٢) بلاغة ٦٢ .
(٣٣) التعبير ٢٣٠ .
(٣٤) الأمثال ٨ . ووانظر الزين ٣٩، ٥٣ .
(٣٥) الأمثال ٥٧ .
(٣٦) الأمثال ٢٩٢ .
(٣٧) الأمثال ٤٠٥ .
(٣٨) الفياض ٢٩٤ . وانظر موسى ٢٣٨ . مدير ٦ .
(٣٩) معترك ١/٤٦٤ . الإتقان ٢/٣٦٤ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٢٩ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان

١١٧ . ولم ينسبها لاشين ٢٤١ . القاضي . ٨ . العمري ١٦٣ . المدخل ٤٩٧ . رضا ١٥٦ . العبدلي ١٩ . الزين ٨ . الفياض ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٩٤ . نيازي ١٧٩ . إسماعيل ٣٣٦ ، ٣٤٤ .
(٤٠) مباحث ٣٩٩ . ولم ينسبها: شحاتة ٢٦٢ . أبو سليمان ١٣٠ .
(٤١) القرآن ١٨٣ .
(٤٢) المفردات ٤٦٢ . وانظر ابن تيمية ١٤/٥٦ . الشوكاني ٣/١٠٦ . عابدين ١٥٨ . منير ٤ .
(٤٣) الكشاف ٣/٤٧٨ . الجويني ٢٥٣ .
(٤٤) الكشاف ١/٧٢ . الجويني ٢٥٣ . ونسبه إلى الأصبهاني: معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . القاضي ٨١ . رضا ١٦١ . أبو سليمان ١١٨ . ولم ينسبه: المدخل ٤٩٨ . أبو فرحة ٣٧٢ . البواب ٨ .
(٤٥) البرهان ١/٤٨٨ . العمري ١٦٥ .
(٤٦) ونسبه إلى السيوطي: بلاغة ٢٩ . العبدلي ٦٣ . ولم ينسبه: الغزالي ١٥٩ . القطان ٢٩٠ . أبو سليمان ١١٦ .
(٤٧) نظرات ١٥٩ ، ١٦٥ .
(٤٨) التعبير ٢٣٠ . وانظر شحاتة ٢٤٦ ، ٢٦٠ ـ المدخل ٤٩٨ . العمري ١٦٦ . نيازي ١٧٧ .
(٤٩) الكشاف ١/١١١ ، الزركشي ١/١٨٨ . معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . العمري ١٦٥ . أبو سليمان ١١٨ .
(٥٠) الكشاف ١/٧٢ . الجويني ٢٥٣ . الفياض ٨٩ . ونسبها إلى الأصبهاني: معترك ١/٤٦٥ .
الإتقان ٢/٣٦٥ . القاضي ٨١ . رضا ١٦١ . أبو سليمان ١١٨ . وأتى بها دون نسبة: الآلوسي ٢١/٣٨ . المدخل ٤٩٨ .
(٥١) الكشاف ١/٧٢ ، الجويني ٢٥٣ . الفياض ٨٩ . ونسبها إلى الأصبهاني: معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . القاضي ٨١ . رضا ١٦١ . أبو سليمان ١١٨ . وأتى بها دون نسبة: الآلوسي ٢١/٣٨ . المدخل ٤٩٨ . وانظر أبو السعود ١/٥٠ . رضا ١٥٣ .
(٥٢) الكشاف ١/٧٢ ونسبها إلى الأصبهاني: معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . القاضي ٨١ . رضا ١٦١ . أبو سليمان ١١٩ . وأتى بها دون نسبة: الزركشي ١/٤٨٨ .
(٥٣) الكشاف ١/٧٢ . ولم ينسبها الزركشي ١/٤٨٨ . أبو السعود ١/٥٠ ونسبها إلى الأصبهاني: معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ .
(٥٤) مجموع ١٤/٥٦ .
(٥٥) بلاغة ٢٦ .
(٥٦) مباحث ٢٩٠ . وانظر أبو سليمان ١١٦ .
(٥٧) مباحث ٢٩٩ . وانظر شحاتة ٢٦٢ . أبو سليمان ١٣٠ .

(٥٨) التعبير ٢٣٠.
(٥٩) المدخل ٤٩٦.
(٦٠) أمثال ٥٩، ٦٦. وانظر إسماعيل ٣٥٦.
(٦١) الأمثال ٣٣، ٥٧.
(٦٢) دراسات ٣٣٥، ٣٤٩ ـ ٥٠.
(٦٣) أمثال ١٧ . إعلام ١/ ١٥٠ . حسين ٣٠ . القطان ٢٩٢ . شحاتة ٢٥٢ . أبو سليمان ١٢٠ . العبدلى ٦٧ . الفياض ٨، ٢٤٢ . وأورده غير منسوب: العمرى ١٦٣ . المدخل ٤٩٦ . وانظر البواب ٩ .
(٦٤) أمثال ١٧ . إعلام ١/ ١٥٠ حسين ٣٠ . القطان ٢٩٢ . شحاتة ٢٥٢ أبو سليمان ١٢٠ . العبدلى ٦٧ . الفياض ٢٤٢ . ولم ينسبه: العمرى ١٦٣ . المدخل ٤٩٦ . وانظر لاشين ٢٤١ . العمرانى ٢٦ . الزين ٣٥. البواب ٨.
(٦٥) البرهان ١/ ٤٨٦ . الفياض ٢٩٤ . وانظر معترك ١/ ٤٦٥ . الإتقان ٢/ ٣٦٥ الشوكانى ٣/ ١٠٦ . موسى ٢٣٨ . العمرى ١٦٣، ١٦٥ ، قمحاوى ٣/ ٣٠ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . ونسبه إلى السيوطى: القاضى ٨٠. الفياض ٢٩٤ .
(٦٦) البرهان ١/ ٤٨٦ . الفياض ٢٩٤ .
(٦٧) إرشاد ١/ ٥٠ . رضا ١٥٤ . وانظر القطان ٢٩٧ . البيوطى ٢٠٨ . ٢١١ . أمين ٢٣٠ . شحاتة ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٦٠ . ابن الشريف ٨. العمرى ١٦٥ . المدخل ٤٩٦ ـ ٧. أبو فرحة ٣٧٦ . رضا ١٥٦ . أبو سليمان ١٢٨ . نيازى ١٧٧ .
(٦٨) إرشاد ١/ ٧١.
(٦٩) نظرات ١٥٩ .
(٧٠) مباحث ٢٩٠ .
(٧١) مباحث ٢٩٧، وانظر شحاتة ٢٦٠ . العمرى ١٦٥ .
(٧٢) دراسات ١٥٥ .
(٧٣) الأمثال ٨.
(٧٤) المدخل ٤٩٦.
(٧٥) أمثال ١٧ . إعلام ١/ ١٥٠ . حسين ٣٠ . القطان ٢٩٢ . شحاتة ٢٥٢ . أبو سليمان ١٢٠ . العبدلى ٦٧ . الفياض ٢٤٢ . وأورده غير منسوب: العمرى ١٦٣ . المدخل ٤٩٦ .
(٧٦) من علوم ١٥٢ .
(٧٧) البرهان ١/ ٤٨٨ . وأتى به غير منسوب: معترك ١/ ٤٦٥، الإتقان ٢/ ٣٦٥ . العمرى ١٦٥ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . البواب ٨ . ونسبها إلى السيوطى: الخضر ٢٩ . القاضى ٨١. العبدلى ٦٣ .
(٧٨) من علوم ١٥٦ .

(٧٩) البرهان ١/٤٨٦ . الفياض ٢٩٤ .. وأتى بها دون نسبة: معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . موسى ٢٣٨ . لاشين ٢٤١ . شحاتة ٢٤٨ . العمرى ١٦٣ . قمحاوى ٣/٣٠ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . البواب ٨ . ونسبه القاضى ٨٠ للسيوطى . وانظر العبدلى ٣٣٩ .

(٨٠) الأمثال ٨ .

(٨١) البرهان ١/٤٨٦ . الفياض ٢٩٤ . وأتى بها دون نسبة: معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . موسى ٢٣٨ . لاشين ٢٤١ . شحاتة ٢٤٨ . العمرى ١٦٣ . قمحاوى ٣/٣٠ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . البواب ٨ .

(٨٢) بلاغة ٣٣ . العبدلى ٥٨ .

(٨٣) مباحث ١٦٥ .

(٨٤) الأمثال ٤٨ ، ٥٦ ، ٣٤٠ .

(٨٥) البرهان ١/٤٨٧ . معترك ١/٤٦٥ ، الإتقان ٢/٣٦٥ . شحاتة ٢٤٩ . العمرى ١٦٥ . قمحاوى ٣/٣٠ . أبو سليمان ١١٨ . البواب ٨ .

(٨٦) إرشاد ١/٧١ .

(٨٧) إرشاد ١/٥٠ . رضا ١٥٣ .

(٨٨) إرشاد ١/٥٠ . رضا ١٥٤ .

(٨٩) إرشاد ١/٥٠ . رضا ١٥٤ .

(٩٠) إرشاد ١/٥٠ .

(٩١) إرشاد ١/٧١ .

(٩٢) بلاغة ٣٣ . وأتى بها دون نسبة: القطان ٢٩٨ . شحاتة ٢٦٠ . العمرى ١٦٦ . حبنكة ٥٩ ، ٧٧ ، أبو سليمان ١٢٨ . إسماعيل ٣٣٦ ، ٣٥٧ . وانظر مدير ٧ .

(٩٣) المدخل ٤٩٧ .

(٩٤) مأدبة ٣٨٨ .

(٩٥) الأمثال ٥١ .

(٩٦) بلاغة ٣٤ . ولم ينسبها: شحاتة ٢٦١ . العمرى ١٦٦ . حبنكة ٥٩ ، ٧٧ ، أبو سليمان ١٢٩ .

(٩٧) مباحث ٢٩٨ .

(٩٨) مأدبة ٣٨٨ .

(٩٩) بلاغة ٣٤ . وانظر نيازى ١٧٩ .

(١٠٠) الأمثال ١٥٨ . وأتى بها دون نسبة: أمين ٢٣١ ، أبو فرحة ٢٧١ .

(١٠١) من علوم ١٥٢ .

(١٠٢) فنون ٢٢٠ .

(١٠٣) مباحث ٢٩٠ . ولم ينسبها شحاتة ٢٤٦ . إبو سليمان ١١٦ .
(١٠٤) مباحث ٢٩٨ . ولم ينسبها أمين ٢٣٠ . شحاتة ٢٦٠، أبو سليمان ١٢٨ . وانظر العمرانى ٢٩ .
(١٠٥) علوم ٢٥٢ .
(١٠٦) أمثال ٦٠، ١٠٨ .
(١٠٧) من روائع ٢١١ .
(١٠٨) المعجزة ٢٤٢ .
(١٠٩) الأمثال ٨ . وأتى بها غير منسوبة: رضا ١٥٢ . الزين ٣٩ .
(١١٠) الأمثال ٨ . وأتى بها غير منسوبة: رضا ١٥٢ . الزين ٣٩ .
(١١١) الأمثال ٨ .
(١١٢) الأمثال ٨ .
(١١٣) الأمثال ٨ . ولم ينسبها: رضا ١٥٢ .
(١١٤) الأمثال ٨ .
(١١٥) الأمثال ٨ . ولم ينسبها: رضا ١٥٣ .
(١١٦) الأمثال ٨ .
(١١٧) الأمثال ٨ .
(١١٨) الأمثال ٥٩ . ٨٦ .
(١١٩) الأمثال ٦٠، ١١٠ .
(١٢٠) مأدبة ٣٧١ .
(١٢١) مأدبة ٣٧١ .
(١٢٢) مأدبة ٣٧١ . وانظر إسماعيل ٣٣٦ .
(١٢٣) مأدبة ٣٧١ . وانظر إسماعيل ٣٣٦ .
(١٢٤) من علوم ١٥٢ .
(١٢٥) من علوم ١٥٢ .
(١٢٦) هذا ٢٤ . وانظر الفياض ٧، ٤٠٥ .
(١٢٧) هذا ٢٩ .
(١٢٨) هذا ٢٩ .
(١٢٩) الأمثال ٥٦ .
(١٣٠) الأمثال ٣٣ .
(١٣١) دلالات ٦ .

(١٣٢) دلالات ٦، ١٩٣ .
(١٣٣) دلالات ٦، ١٩٣ . وانظر الفياض ٤٠٥ .
(١٣٤) الأمثال ٤٠٥ .
(١٣٥) دراسات ٣٣٦، ٣٥٥ .
(١٣٦) القرآن ١٧٩ .
(١٣٧) القرآن ١٧٩ .
(١٣٨) الأمثال ٣٣، ٤٥ .
(١٣٩) الأمثال ١١٢ .

٢. استنكارها

نقل الطبرى فى تفسيره قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما: بعوضة فما فوقها﴾[١] عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبى ﷺ قالوا: لما قال تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله، ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون* صم بكم عمى فهم لا يرجعون* أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت، والله محيط بالكافرين﴾[٢] قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال. فأنزل الله الآية[٣].

ونقل الزمخشرى عن الحسن بن يسار البصرى وقتادة بن دعامة السدوسى: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل، ضحك اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله[٤].

ونقل الطبرى أيضاً عن قتادة ما يدل أن القول الأخير صدر ممن سماهم مرة: أهل الضلالة، ومرة: المشركين[٥].

وعقب الطبرى على هذه الأقوال قائلا: ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله فى هذه الآية وفى المعنى الذى نزلت فيه مذهبًا، غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس. وذلك أن الله أخبر عباده أنه لا يستحى أن يضرب مثلا ما: بعوضة فما فوقها، عقيب أمثال قد تقدمت فى هذه السورة: ضربها للمنافقين دون الأمثال التى ضربها فى سائر السور غيرها. فلأن يكون هذا القول جوابا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال فى هذه السورة أحق وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال فى غيرها من السور.

فإن قال قائل: إنما أوجب أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب من الأمثال فى سائر السور، لأن الأمثال التى ضربها الله لهم ولآلهتهم فى سائر السور أمثال موافقة المعنى لما أخبر عنه أنه لا يستحى أن يضربه مثلا، إذ كان بعضها تمثيلا لآلهتهم بالعنكبوت، وبعضها تشبيهاً لها - فى الضعف والمهانة - بالذباب، وليس ذكر شىء من ذلك بموجود فى هذه السورة، فيجوز أن يقال: إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما.

فان ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن قول الله إنما هو خبر منه أنه لا يستحى أن يضرب فى الحق من الأمثال - صغيرها وكبيرها - ابتلاء بذلك عباده واختباراً منه لهم، ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر، إضلالاً منه به لقوم، وهداية منه به لآخرين(٦).

وأفاض الزمخشرى فى الدفاع فأعلن: سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار، واستغربوه

من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروباً بها المثل، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى...

فإن كان المتمثَّل له عظيماً، كان المتمثَّل به مثله. وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك. فليس العظم والحقارة فى ا لمضروب به المثل إذن إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له، وتستجره إلى نفسها. فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفاته، كيف تمثل له بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أنداداً لله لا حال أحقر منها وأقل لذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن، وجعلت أقل من الذباب وأخس قدراً[٧].

والعجب منهم كيف أنكروا ذلك، ومازال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام. وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم، قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء. فقالوا: أجمع من ذرة، وأجرأ من الذباب[٨].. ولقد ضربت الأمثال فى الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزؤان والنخالة[٩]..

والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة. ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذى لا يبقى له متمسك بدليل، ولا متشبث بأمارة ولا إقناع، أن يرمى لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح، وإنكار الحق، والتعويل على المكابرة والمغالطة، إذا لم يجد سوى ذلك معوّلاً[١٠].

وكذلك أفاض الرازى. فى الدفاع، فأعلن: اعلم أن ضرب الأمثال من الأمور المستحسنة فى العقول. ويدل عليه من وجوه:

أحدها: إطباق العرب والعجم على ذلك.

أما العرب فذلك مشهور عندهم. وقد تمثلوا بأحقر الأشياء. فقالوا فى التمثيل بالذّرة: أجمع من ذرة، وأضبط من ذرة، وأخفى من الذرة. وفى التمثيل بالذباب: أجرأ من الذباب، وأخطأ من الذباب، وأطيش من الذباب، وأشبه من الذباب بالذباب، وألح من الذباب...

وأما العجم فيدل عليه كتاب «كليلة ودمنة» وأمثاله...

وثانيها: أنه ضرب الأمثال فى إنجيل عيسى - عليه السلام - بالأشياء المستحقرة...

وأما العقل فلأن من طبع الخيال المحاكاة والشبه. فإذا ذُكر المعنى وحده، أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال. وإذا ذكر معه الشبه، أدركه العقل مع معاونة الخيال، ولا شك أن الثانى يكون أكمل.

وأيضًا فنحن نرى أن الإنسان يذكر معنى، ولا يلوح له كما ينبغى. فإذا ذكر المثال، اتضح وصار مبينا مكشوفاً. وإذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح، وجب ذكره فى الكتاب الذى لا يراد منه إلا الإيضاح والبيان.

أما قولهم: ضرب الأمثال بهذه الأشياء الحقيرة لا يليق بالله. قلنا: هذا جهل، لأنه هو الذى خلق الصغير والكبير، وحكمه فى كل ما خلق وبرأ عام لأنه قد أحكم جميعه. وليس الصغير أخف عليه من الكبير،

والعظيم أصعب من الصغير. وإذا كان الكل بمنزلة واحدة، لم يكن الكبير أولى أن يضربه مثلا لعباده من الصغير، بل المعتبر فيه ما يليق بالقصة[١١] ...

وذكر محمد رأفت سعيد أن الكافرين اتخذوا من الأمثال طريقاً يبثون من خلاله شبهات تشكك فى نسبة القرآن إلى الله، استناداً إلى أمرين:

الأول: يزعمون أن الأمثال فيها تقبيح لهم وسخرية منهم. والله لا يفعل ذلك معهم.

الثانى: الأمثال ضربت بأشياء حقيرة فى نظرهم. وفى هذا إهانة لهم، وهم يستبعدون أن يضرب الله المثل بالبعوضة أو الذباب أو غير ذلك من المخلوقات المحقرة عندهم[١٢].

ويتضح من هذا أن دفاع الزمخشرى هو الذى دار على ألسنة من تعرض لقضية الاستنكار هذه، وأن أحداً لم يستطع الانفكاك عن فلكه، أو الزيادة عليه.

الهوامش

(١) سورة البقرة ٢٦ .

(٢) سورة البقرة ١٧ ـ ٩ ..

(٣) جامع ١/١٣٨ . وانظر الرازى ٢/١٣٢ . أبو السعود ١/٧١، ابن الشريف ١١ . المدخل ٤٩٥ . العبدلى ٤٥ . الزين ٥٣ . سعيد ٨ .

(٤) الكشاف ١/١١٢ . سعيد ٩ . وانظر الرازى ٢/١٣٢ . أبو السعود ١/٧١ .

(٥) جامع ١/١٣٨ .

(٦) جامع ١/١٣٨ ـ ٩ . وانظر المدخل ٤٩٥ . الزين ٥٤ .

(٧) الكشاف ١ / ١١١ . وانظر الرازى / ١٣٣ . أبو السعود ١/٧١ . العمرى ١٦٥ . الفياض ٢٨٨ .

(٨) الكشاف ١/ ١١١ ـ ٢ . وانظر الرازى ٢/١٣٣ . أبو السعود ١/ ٧١ . العبد لى ٤٨ . الزين ٥٤ .

(٩) الكشاف ١/ ١١٢ . وانظر الرازى ٢/١٣٢ . أبو السعود ١/٧١ .

(١٠) الكشاف ١/ ١١١ ـ ٢ . وانظر حبنكة ٤٠ ـ ٢ . العمرانى ١٩ ـ ٢٠ . العبدلى ٤٨ ـ ٥٠ . الفياض ٢٨٧ ـ ٩ .

(١١) مفاتيح ٢/ ١٣٢ ـ ٤ .

(١٢) دلالات ٨ .

٣ـ معانى ضربها

عقد د. محمد جابر الفياض فصلاً للمعانى التى فُسرت بها عبارة «ضرب الأمثال» فى القرآن، استهله بأنها معان عدة، ففى كتب التفسير وحدها بل فى قسم منها ما يزيد على عشرة معان. ثم أورد المعانى الآتية:

ـ التمثيل والتشبيه: ذكره ابن عباس فى موضعين(١)، وهو المعنى الذى آثره الطبرى فى أكثر ما ورد فيه ضرب المثل من آيات(٢).

ـ الوصف: ذكره ابن عباس فى موضعين(٣).

ـ الذكر: ذكره ابن عباس(٤).

ـ التبيين: ذكره ابن عباس أيضا(٥).

ـ الجعل: ذكره الطبرى فى تفسير الآية ٧٣ من سورة الحج(٦).

ـ تسيير الأمثال فى البلاد، وإدارتها على ألسنة الناس، من قولهم: ضرب فلان فى الأرض: إذا توغل فيها، وأبعد فى أقاصيها: ذكره محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى(٧).

- نصب الأمثال للناس بالشهرة، لتستدل عليها خواطرهم، كما تستدل على الشيء المنصوب أمام نواظرهم، وذلك مأخوذ من قولهم: ضربت الخباء: إذا نصبته وأثبت طنبه، وأقمت عمده: ذكره الشريف الرضى أيضاً[٨].

- الوضع: ذكره الزمخشرى[٩].

- الصنع: ذكره الزمخشرى[١٠].

- الاعتماد: ذكره الزمخشرى[١١].

- الاعتمال: ذكره الزمخشرى[١٢]. من ضرب اللبن والخاتم.

- التقدير كما أن القياس أصله تقدير الشيء بالشيء: ذكره ابن تيمية[١٣].

- الاتخاذ: ذكره شهاب الدين الآلوسى[١٤].

- الإيراد: ذكره الآلوسى أيضاً[١٥].

- قرع أذن السامع، فإنه ينفذ أثره إلى قلب السامع، وينتهى إلى أعماق نفسه، كما أن الضرب يأتى عند إرادة التأثير وهيج الانفعال: ذكره محمد عبده[١٦].

- التأثير: ذكره أمين الخولى[١٧].

- الصّوغ: ذكره أمين الخولى[١٨].

وذهب د. محمد جابر الفياض إلى أن تفسير ابن عباس الضرب بالوصف والتشبيه والتمثيل أوفق من تفسيره له بالذكر والتبيين[١٩]، وإلى أنه لا يرى مبرراً لعدول الطبرى عن تفسير الضرب بالتمثيل إلى

الجعل. فإذا كان مجيء الفعل (ضرب) مبنيًا للمجهول، فقد فسره الطبري نفسه بالتمثيل في الآية ٥٧ من سورة الزخرف. وإذا كان منه ذلك العدول لعدم وجود تشبيه صريح في الآية، التي نصّ على أن الضرب فيها بمعنى الجعل، فالتشبيه في الآية، وفي الآية ٧٨ من سورة يس، لم يكن أكثر صراحة، ومع ذلك فسره فيهما بالتمثيل[٢٠].

ولاحظ أن الشريف الرضي لم يرجح أو يفاضل بين المعنيين اللذين أوردهما[٢١].

واستبعد تفسير محمد عبده، اعتمادًا على أن كثيرًا من فنون القول تماثل الأمثال، إن لم تزد عليها في قرع أذن السامع، كالخطب والمواعظ وأشعار الحماسة والمفاخرة وغيرها. فلماذا اختير لفظ الضرب للمثل دون تلك الفنون[٢٢].

وانتهى إلى أن قال: ضرب المثل صوغه وإنشاؤه وابتكاره. أما السبب الذي من أجله أطلق الضرب على صوغ الأمثال دون غيرها من فنون القول، فلا أملك أن أقطع فيه برأي، وإن بدا لي أن عدم تغير الأمثال يمكن أن يكون هو الذي حدا بهم إلى إطلاق الضرب على صياغتها[٢٣].

واتفق مع د. الفياض في المعاني التي أتى بها لضرب الأمثال، وإن كنت لا أتفق معه في اعتراضه على محمد عبده. فلا يمكن - في كثير من الأحوال - تعليل اختيار أصحاب اللغة أحد المترادفات ليكون تعبيرًا ملتزمًا. وإلا فلماذا سموا الشعر القريض، وسموا المقامة مقامة لا موقفة وهلم جرا.

الهوامش :

(١) الطبرى ١/ ٩٠، ١٣٩، ١٣/ ١٣٥، ١٦٠، ٢٣/ ٣٦. الفياض ٦٥، ٦٧. ولم ينسبه الزمخشرى ٢/ ٣٨٧، ٦٩٢، ٤/ ٧، ٥٠٩. الآلوسى ١/ ٢٠٦.

(٢) الفياض ٦٥.

(٣) الطبرى ١/ ١٣٩. ولم ينسبه الآلوسى ٢١/ ١١. وانظر الفياض ٦٥، ٧١.

(٤) الطبرى ١٧/ ١٤١. الفياض ٦٥ ـ ٧، ٧١. ولم ينسبه الآلوسى ١/ ٢٠٦، ١٥/ ٢٨٥، ٢٣/ ٢٢٠.

(٥) الزمخشرى ٣/ ٢٨٠. الفياض ٦٥. ولم ينسبه الآلوسى ٢٣/ ٢٢٠.

(٦) جامع ١٧/ ١٤١. الفياض ٦٥ ـ ٧. ولم ينسبه الزمخشرى ٢/ ٥٥٣. ٦٣٨.

(٧) تلخيص ١٧٨ الفياض ٦٨ ـ ٩. وانظر الزين ٩. إسماعيل ٣٤١.

(٨) تلخيص ١٧٨. الفياض ٦٨ ـ ٩. وانظر الزين ٩. إسماعيل ٣٤١.

(٩) الكشاف ٢/ ٥٥٢. الفياض ٦٥. ولم ينسبه الآلوسى ١/ ٢٠٦، ١٣/ ٢١٢

(١٠) الكشاف ١/ ١١٤. الفياض ٦٥ ـ ٦. ولم ينسبه الآلوسى ٢١/ ٦١. الزين ٩.

(١١) الكشاف/ ١/ ١١٤، ٢/ ٥٥٢. الفياض ٦٥.

(١٢) الكشاف ١/ ٢٠٤. ولم ينسبه الآلوسى ١٣/ ٢١٢.

(١٣) مجموع ١٤/ ٥٥.

(١٤)روح ٢١/ ٣٩.

(١٥) روح ٢٨/ ١٦٢، ٢٣/ ٥٤.

(١٦) المنار ١/ ٢٦٣. الفياض ٦٧. ولم ينسبه الزين ٩.

(١٧) الأمثال ٧٠ ـ ١.

(١٨) الأمثال ٧٠ ـ ١.

(١٩) الأمثال ٦٥.

(٢٠) الأمثال ٥ ـ ٦.

(٢١) الأمثال ٦٨ ـ ٩.

(٢٢) الأمثال ٦٧ ، ٧٠.

(٢٣) الأمثال ٧١.

٤. التمثّل بالآيات

كره جماعة من الأوائل التمثل بآيات القرآن فى الظروف المختلفة. وأول من رُوى عنه ذاك إبراهيم بن يزيد النخعى. فقد روى أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب «فضائل القرآن» أنه قال: كانوا يكرهون أن يتلوا الآية عند شىء يعرض من أمور الدنيا[١].

ولعل سبب هذه الكراهية يتمثل فيما نقله الزركشى عن محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب الزهرى قال: لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ﷺ. أراد بذلك: لا تجعل لهما نظيراً من القول ولا الفعل[٢].

وتبعه أبو عبيد الذى قال: وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بحاجته، فيأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح: ﴿جئت على قدر يا موسى﴾[٣] فهذا من الاستخفاف بالقرآن[٤].

وسار على أثرهما فخر الدين محمد بن عمر الرازى الذى قال فى تفسير قوله ﴿لكم دينكم ولى دين﴾[٥]: جرت عادة الناس بأن يتمثلوا

بهذه الآية عند المتاركة، وذلك غير جائز، لأنه - تعالى - ما أنزل القرآن ليتمثّل به، بل ليتدبَّر، ثم يعمل بموجبه[٦].

وصرّح الزركشي: يكره ضرب الأمثال بالقرآن. نصّ عليه من أصحابنا العماد النّيهى صاحب البغوى، كما وجدته فى «رحلة ابن الصلاح» بخطه[٧].

ولكن غير هؤلاء أباحوا التمثل بالآيات، فقد عقد أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبى فصلا فى كتاب «التمثيل والمحاضرة» لمجموعة من سائر ما يجرى مجرى الأمثال فى ألفاظ القرآن؛ ولأنموذج من أمثال العرب، يتمثّل من ألفاظ القرآن[٨]؛ وفصلاً فى كتاب «الإعجاز والإيجاز» ضمّنه ١٦ لفظاً من ألفاظ القرآن[٩].

كذلك عقد جعفر بن محمد الأفضلى المعروف بابن شمس الخلافة فصلا فى كتابه «الآداب» لألفاظ يتمثل بها من القرآن[١٠]. وفعل الأمر نفسه شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى فى كتاب «نهاية الأرب فى فنون الأدب»[١١]، ومحمد بن أحمد الإبشيهى فى كتاب «المستطرف فى كل فن مستظرف»[١٢]، وعبدالفتاح القاضى[١٣].

أما عبدالعظيم بن عبدالواحد المعروف بابن أبى الإصبع فلم يكتف بفصل قصير، وإنما ألف كتاباً سماه «درر الأمثال» استقصى فى أوله جميع أمثال الكتاب العزيز من السور على ترتيبها، وبوبه على حروف المعجم[١٤].

وناقش محمد الخضر حسين ما قاله الرازى، فأعلن: لا حرج - فيما يظهر - أن يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد، كأن يأسف أسفاً شديداً

لنزول كارثة، قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس، فيقول: ﴿ليس من دون الله كاشفة﴾[15].

والإثم الكبير فى أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة، فيتمثل بالقرآن حتى فى مقام الهزل والجد[16].

وذهب د. عبدالمجيد عابدين إلى وجود طائفة من الآيات الموجزة، اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن، وشيوعها فى المسلمين، ولم تكن أمثالاً فى وقت نزوله، وهى عبارة عن مبادئ خلقية ودينية مركزة، مثل ﴿الآن حصحص الحق ﴾[17].

وذكر الفياض أن نور الحق تنوير عقد فى رسالته فصلاً سماه «الأمثال المستوحاة من قصص القرآن وآياته»[18].

ويتضح من هذا الفصل أن النخعى والزهرى والرازى والنيهى أطلقوا كراهة التمثل بالآيات، وأن أبا عبيد قصرها على مقام المزاح، فوافقه محمد الخضر مع إضافته مقام التظاهر بالبراعة. وأباحاه فى غير هذه المقامات.

وواضح أن الجميع اتفقوا على صلاحية عبارة الأمثال المستوحاة من القرآن.

الهوامش

(١) الزركشى ١/٤٨٣ .
(٢) البرهان ١/٤٨٣ . القطان ٣٩٩ .
(٣) سورة طه ٤٠ .
(٤) الزركشى ١/٤٨٣ . القطان ٣٩٩ .
(٥) سورة الكافرون ٦ .
(٦) مفاتيح ١٣٢/١٤٨ . حسين ٣٣ . القطان ٢٩٧ . شحاتة ٢٥٩ . العمرى ١٦٤ . ولم ينسبه أبو سليمان ١٣٧ .
(٧) البرهان ١/٤٨٣ .
(٨) ١٥ ـ ٩ . ٢٣١ ـ ٢ ، ٢٦٢ . وانظر المدهش ٤ .
(٩) ١٤ ـ ٥ . الفياض ٢٦٢ .
(١٠) ٦١ . الفياض ٢٦٢ .
(١١) ١/٣ .
(١٢) ١/٢٧ .
(١٣) من علوم ٨٣ .
(١٤) بديع القرآن ٨٧ .
(١٥) سورة النجم ٥٨ .
(١٦) بلاغة ٣٣ . القطان ٢٩٧ . شحاتة ٢٥٩ . العمرى ١٦٤ ـ ٥ . وأتى به دون أن ينسبه أبو سليمان ١٢٧ .
(١٧) سورة يوسف ٥١ . الأمثال ١٣٦ .
(١٨) الفياض ٢٦٣ .

٥- عددها

لاحظ قتادة بن دعامة السدوسى أن الأمثال قد تتعاقب فى الموقف الواحد، لتصوير حالة واحدة. فقال عن قوله تعالى: (أنزل من السماء ماء، فسالت أودية بقدرها، فاحتمل السيل زبدا رابيا؛ ومما يوقدون عليه فى النار ــ ابتغاء حلية أو متاع ــ زبد مثله. كذلك يضرب الله الحق والباطل. فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض. كذلك يضرب الله الأمثال)[١] قال: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد[٢].

وصرح المفسرون منذ عهد الطبرى ومن كتبوا عن الأمثال تصريحا مجملا بكثرتها فى القرآن[٣].

وأرجع الزمخشرى ذلك إلى أن القرآن ما جاء إلا على طرق العرب وأساليبهم، أى فى ضرب الأمثال[٤].

كما أنه لم يخص بالكثرة القرآن وحده بل عم الكتب السماوية والنصوص الدينية. فقال: ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين، وفى سائر كتبه، أمثاله، وفشت فى كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء. ومن سور الإنجيل سورة الأمثال(٥).

وكشف الزمخشرى عن سبب تعقيب القرآن للمثل بآخر، فذهب إلى أن ذلك كشف بعد كشف، وإيضاح عقب إيضاح. وكما يجب على البليغ فى نطاق الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه فى موارد التفضيل والإشباع أن يفصل ويشبع. أنشد الجاحظ:

ترمون بالخطب الطوال، وتارة   وحى الملاحظ خيفةَ الرقباء

ولاحظ أن القرآن أتى بهذا التعقيب فى أكثر من آية أخرى(٦).

وحدد عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى عدد الأمثال القرآنية بثلاثة وأربعين، ثم استقصاها سورة بعد أخرى(٧).

وجعل ابن تيمية هذا العدد للأمثال المعينة من أنواع الأمثال القرآنية(٨).

وخالف ابن قيم الجوزية قتادة فلم يتحدث فى سورة الرعد إلا عن المثلين المائى والنارى. كذلك لاحظ فى قوله تعالى فى حق المنافقين: ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون * صم بكم عمى فهم لايرجعون * أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت، والله محيط بالكافرين * يكاد البرق

يخطف أبصارهم. كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم. إن الله على كل شيء قدير﴾[٩]، لاحظ وجود مثلين: نارى ومائى، لما فى النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة. فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة[١٠].

وصرح د. عبد المجيد عابدين بأن القرآن زخر بالأمثال، وحدد الأمثال القياسية بثلاثين مثلا، تتبعها فى السور[١١].

وأعلن البوطى: فى القرآن نافذة عريضة كبرى على الأمثال. بل قلما يخلو معنى من المعانى التى يعرضها القرآن من الارتباط بمثال مقرب يكسوه ثوبا يحس ويتجسد فيه[١٢].

ونقل بكرى شيخ أمين عن أحد العلماء أنه قال: ما تكلم العرب بمثل إلا وفى القرآن نظيره[١٣].

وجعل أبو فرحة ضرب الأمثال سنة ربانية، واستشهد لذلك بكثرتها فى القرآن، وبسفر الأمثال[١٤].

ولم يكشف سميح عاطف الزين علام استند عندما قال إن هذه الأمثال لاتتجاوز المئات[١٥].

وذكر الفياض أن د. على أصغر حدد الأمثال بثلاثة وخمسين، فى حين أن الفصل الذى عقده انتهى عند رقم اثنين وخمسين، وفى الوقت الذى اتضح فيه أن غير قليل مما أدخله فى إحصائه لم يكن تمثيلا بل لم يكن قرآنيا على الإطلاق. وبعد هذا وذلك، فاته أن يذكر كثيرا من

الأمثال التى لا ذكر للفظ المثل فيها، مع أنه ضمن الفصل غير قليل منها(١٦).

وعقد الفياض فصلا لعدد الأمثال، بدأه بأنه ليست هناك من ضرورة تقضى بحصرها فى عدد معين، فضلا على أن حصرها ليس بالأمر اليسير، ولايخلو من مجازفة. فقد ورد لفظ المثل فى آيات ظاهر فيها التشبيه والتمثيل، والمقارنة والموازنة، بين المشبه والمشبه به، وورد فى آيات خفى فيها التشبيه والتمثيل، ولم تتضح المقارنة والموازنة فيها وضوحا تاما.

وإذا كان خفاء التمثيل فى بعض الآيات التى ورد فيها لفظ المثل يمكن أن يعد من العقبات التى تعترض طريق من يرغب فى إحصاء الأمثال القرآنية، فإن ورود اللفظ فى آيات ليس من اليسير القول بمجرد المقارنة والموازنة فيها يمكن أن يكون عقبة أكبر.

ومن الأمثال القرآنية ما قد ورد بصيغ وأساليب لايملك معها الدارس أن يقطع بعدد التمثيلات والتشبيهات فيها. منها قوله: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم، والبصير والسميع، هل يستويان مثلاً، أفلا تذكرون﴾(١٧). فالآية يمكن أن تعد مثلا واحداً: كما يمكن أن توجه إلى أنها مثلان.

مثل هذه العقبات يمكن أن تعترض طريق من يرغب فى إحصاء الأمثال فى الآيات التى تضمنت لفظ المثل صراحة، فكيف بالآيات التى لم تتضمنه صراحة، ولاسبيل إلى معرفتها بغير قياسها على ما ذكر فيها اللفظ، وسماها الدارسون الأمثال الظاهرة؟

ومع ذلك، فإن مجال الخلاف فى الأمثال الكامنة يظل أوسع مماهو عليه فى الأمثال الظاهرة. ولهذا فقد أحسن أكثر الدارسين صنعا حين جنبوا أنفسهم ما لايؤمَن فيه الزلل، ولاتقتضيه ضرورة، فلم يقدموا على حصرها فى عدد معين، واكتفوا بالإشارة إلى كثرتها واهتمام القرآن بها(١٨).

ويكشف هذا الفصل أن الزمخشرى سمى أسفار الإنجيل سورا، وأعلن أن سفر الأمثال من أسفار الإنجيل، إما عن سهو أو عن توسع فى اسم الإنجيل جعله يشمل التوراة، التى تضم سفر الأمثال بين أسفارها.

ويكشف أن الزمخشرى فطن إلى انبعاث الأمثال القرآنية من عُرفين؛ العرف العربى، والعرف الدينى، كما فطن إلى العامل البلاغى وراء تعاقب الأمثال. فاعتمد عليه أبو فرحة.

ويكشف أن البوطى ويكرى شيخ أمين أسرفا فى القول بحيث لم نجد أحدا يتبعهما، وأن الزين يقف على مقربة منها.

وكان موقف الفياض معقولا، إزاء الاختلافات بين العلماء فى الإحصاء، والعقبات التى كشف عنها، وتحول دون الوصول إلى إجماع فيه.

الهوامش :

(١) سورة الرعد ١٧ .

(٢) الطبرى ١٣/ ٩١ . الزركشى ١/ ٤٩٣ ـ ٤ . معترك ١/ ٤٦٧ . لاشين ٢٣٦ . أبو فرحة ٣٧٤ . وانظر العمرى ١٦٧ ـ ٨ .

(٣) ابن عبد ربه ٣/ ٦٣ . ابن عبد البر ٢/ ٦٩ . ابن القيم ٦٦ . الابشيهى ١/ ٢٧ . القطان ٢٩٣، ٢٩٩ . لاشين ٢٣٧ . شحاتة ٢٥٣، ٢٦٢، المدخل ٤٩٦ ـ ٧ . أبو فرحة ٣٧١ . أبو سليمان ١٣٠ . العبدلى ٤٧ . الزين ٣٢، ٤٥ . الفياض ٢٨٧، ٢٩٠، ٤٠٥ .

(٤) الكشاف/ ٢/ ٢٢٣ ـ ٤ . الجوينى ٢٥٣ .

(٥) الكشاف ١/ ٧٢ . ٣٥٩ . الجوينى ٢٥٣ ـ ٤ . ولم ينسبه الزركشى ١/ ٤٨٨ . الإتقان ٢/ ٣٦٥ . ونسبه إلى الأصبهانى: معترك ١/ ٤٦٦ . قمحاوى ٣/ ٣١ .

(٦) الكشاف ١/ ٧٨ . الجوينى ٢٥٦ .

(٧) المدهش ٣ ـ ٤ .

(٨) مجموع ١٤/ ٥٦، ٥٨ .

(٩) سورة البقرة ١٧ ـ ٢٠ .

(١٠) إعلام ١/ ١٥٠ ـ ٢ . أمثال ١٧٤ . وانظر الزركشى ١/ ٤٩٤ ـ ٥ . الإتقان ٢/ ٣٦٦ .

(١١) الأمثال ١٣٥، ١٥٩ . الفياض ٢٢٣ .

(١٢) من روائع ٢٠٨ ـ ٩ .

(١٣) التعبير ٢٣٠ .

(١٤) مأدبة ٣٧١ .

(١٥) الأمثال ٤٧ ـ ٨ .

(١٦) الأمثال ٢٢٤ ـ ٥ .

(١٧) سورة هود ٢٤ .

(١٨) الأمثال ٢١٩ ـ ٢٢ .

٦ـ مضامينها

ـ الدلالة على طاعة الله: أحد المضامين الأربعة التى ذكرها محمد ابن إدريس الشافعى[١].

ـ إبانة اجتناب معصية الله: ذكره الشافعى[٢].

ـ إبانة ترك الغفلة عن الحفظ: ذكره الشافعى[٣].

ـ إبانة الازدياد من نوافل الفضل: ذكره الشافعى[٤].

ـ الوعد والوعيد: أحد المضامين الستة التى ذكرها ابن خلاد الرامهرمزى[٥].

ـ التحليل والتحريم: ذكره ابن خلاد[٦].

ـ الترجية والتخويف: ذكره ابن خلاد[٧].

ـ تقريع المشركين: ذكره ابن خلاد[٨].

ـ الدلالة على قدرة الله مشاهدة وعيانا، وعاجلا وآجلا: ذكره ابن خلاد[٩].

ـ التفاوت فى الثواب: أحد المضامين الأربعة التى ذكر عز الدين ابن عبد السلام أن الأمثال تشتمل عليها[١٠].

ـ إحباط عمل: ذكره العز[١١].

ـ المدح: ذكره العز[١٢].

وفسر محمد الخضر حسين المدح ومّثل له، فقال: يضرب المثل لمدح الممثل حيث يكون فى الممثل صفات تستحسنها النفوس، وتمدح من يحرز مثلها، كما ضرب الله مثلا لحال الصحابة فقال: ﴿ذلك مثلهم فى التوراة، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾[١٣].

ـ الذم: ذكره العز[١٤].

وفعل محمد الخضر حسين فيه ما فعله فى المدح فقال: يضرب المثل للذم حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس، ويذمون من رضى لنفسه بمثلها، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه، فنكث يده من العمل به وانحط فى أهوائه، فقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا، فانسلخ منها. فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه. فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾[١٥].

وفعل د. محمد بكر إسماعيل فعل محمد الخضر فقال: مدح من يستحق المدح، وذم من يستحق الذم، بقصد التمييز بين المصلح والمفسد والمحسن والمسيء، ليزداد المحسن إحسانا، ويرعوى المسيء عن إساءته[١٦].

ـ الثواب أو العقاب: أحد المضامين التى ذكر السيوطى أن الأمثال تشتمل عليها[١٧].

ـ تفخيم أمر أو تحقيره: ذكره السيوطى[١٨].

ـ تحقيق أمر أو إبطاله: ذكره السيوطى[١٩].

ـ تمثيل الحياة الدنيا والعمل الطيب وعكسه: أحد المضامين التى ذكرها أمين الخولى[٢٠].

ـ تمثيل صفات الله: ذكره الخولى[٢١].

ـ تمثيل المؤمنين وحدهم، أو مع الكفار: ذكره الخولى[٢٢].

ـ تمثيل الكفار وأحوالهم، واليهود وعدم انتفاعهم بالتوراة، والمنافقين وأحوالهم: ذكره الخولى[٢٣].

ـ تمثيل الجنة: ذكره الخولى[٢٤].

ـ السلوك الإنسانى إزاء رسالة الله ودعوته. ومثاله: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم، وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذى استوقد نارا...﴾[٢٥]. فهذا بيان لحالة الكفار. ومعظم الأمثال القياسية فى القرآن من هذه الطائفة (٢٢ مثلا): إحدى

الطائفتين التى ميزهما د. عبد المجيد عابدين فى المثل القياسى بوجه عام[٢٦].

ـ ملكوت الله ومخلوقاته. لاتتعرض بصفة مباشرة لسلوك الناس وتصرفاتهم إزاء الله ورسالته، وإنما هى بيان لما فى هذا الملكوت الواسع الذى يدبر الله أمره. فهذه الحياة الدنيا مثلها ﴿كماء أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض، مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها، أتاها أمرنا ليلا أو نهارا، فجعلناها حصيدا، كأن لم تغن بالأمس﴾[٢٧].

وقال د. عابدين أيضا: استمد القرآن قصصه وأوصافه فى هذه الأمثال من حياة البشر، والحياة الزراعية، والحياة الجبلية والصحراوية. ووسائل الحياة المنزلية، ومن الحيوان[٢٨].

ـ الإيمان: أحد المجالات التى ذكر محمود بن الشريف أن الأمثال فى القرآن تناولتها من أجل الهداية[٢٩].

ـ الكفر: مجال ذكره ابن الشريف[٣٠].

ـ فضح النفاق: ذكره ابن الشريف[٣١].

ـ الحض على الانفاق: ذكره ابن الشريف[٣٢].

ـ النداء بالخير: ذكره ابن الشريف[٣٣].

ـ التنديد بالشر: ذكره ابن الشريف[٣٤].

ـ تصوير الطيب والخبيث، والصالح والطالح: ذكره ابن الشريف[٣٥] .

ـ الإشادة بالنبل والخير والصالح: مجال ذكره د. فؤاد على رضا[٣٦] .

ـ الحض على البر والتقوى.. لتضع الإنسان فى النهاية أمام المصير الذى يختاره بنفسه وبملء إرادته: مجال ذكره سميح عاطف الزين[٣٧] .

ـ تبصير الدعاة والمدعوين، وتعريفهم بالحياة التى يعيشونها فى دنياهم. وذلك لكى تسهم ـ مع بقية الوسائل ـ فى تبصير الداعية بالجو العام الذى يدعو فيه. فيتصرف فى وسائله على ضوء ما يرى ويشاهد. وبذلك يسهم المثل القرآنى فى البيان والموعظة أعظم مساهمة: ذكره الزين[٣٨] .

ـ بناء العقيدة من حديث عن الله وتوحيد وشرك ومؤمنين وكافرين، وتجلية مسألة الخلق والجنة والنار والبعث: أحد ثلاثة مجالات ذكر د. محمد رأفت سعيد أن مجال الأمثال فى القرآن يتسع لها[٣٩] .

ـ إرساء القيم من الحق والباطل والاستقامة والشكر وضده والوفاء، والاستنصار بغير الله، والكلمة وآثارها السلبية والإيجابية.. المجال الثانى عند د. محمد رأفت سعيد[٤٠] .

ـ إرساء المفاهيم الصحيحة والرد على ما يثار من شبهات نحوها: المجال الثالث عند د. محمد رأفت سعيد[٤١] .

ـ وذهب د. محمد جابر الفياض إلى أن الأمثال القرآنية أحكام وتشريعات، وإن لم ترد على ما ألف أن تجيء عليه الأحكام من الأمر بالشيء أو النهى عنه، بشكل مباشر. لأن التمثيل فى القرآن ـ وإن كان تصويرا للأشياء ـ ليس تصويرا وتشخيصا لها لمجرد الرغبة فى التصوير والتشخيص. وإنما أريد به إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وإظهار الأشياء على ما هى عليه، وحكم لها أو عليها[٤٢].

وتناولت الأمثال كثيرا من مسائل الشريعة الإسلامية. فتناولت تعالى الله عن المثيل. ومثلت قدرته وتمكنه وتفرده ونوره، وكلمتى الإيمان والكفر، والقرآن وهيبته، والحق الذى جاء فيه، والشبهات التى ثارت فى النفوس بسببه، والحياة الأخرى وما فيها من جنان ونيران، والدنيا وزينتها وما تؤول إليه. ومثلت عيسى ـ عليه السلام ـ فى خلق الله له، والرسول ﷺ ـ وأصحابه، وعلاقاتهم فيما بينهم، وعلاقتهم بأعداء الله وأعدائهم، وعلاقتهم بربهم. ومثلت النفاق والمنافقين، والشرك والشركاء والمشركين، والكفر والكافرين، والتوحيد والموحدين، والردة والمرتدين، والجشع والجشعين، والغرور والمغرورين، المخدوعين بأموالهم وأبنائهم، والناكثين لعهودهم وأيمانهم، والمنفقين ونفقاتهم، إلى آخر ما يبصر الإنسان بطبيعته وطبيعة الكون من حوله، ويهديه إلى خالق هذا الكون، وما يرضاه وما لا يرضاه[٤٣].

وذهب د. محمد بكر إسماعيل إلى إن الأمثال القرآنية مقاييس عقلية، تخلو من التكلف والاعتساف، وقواعد كلية للمبادئ الخلقية الصالحة لكل زمان ومكان.

والمثل القرآنى أسلوب بيانى، يجمع فى طياته نماذج حية مستمدة من الواقع المشاهد، لتكون هذه النماذج أقيسة عامة للحقائق المجردة، أو الأعمال المجرية أو الأمور التى لاتقع تحت الحس والإدراك فى الدنيا، والتى يترتب عليها أحكام شمولية، ويبنى عليها صلاح أمر الناس فى الدنيا والآخرة[٤٤].

يبين لنا هذا الفصل ـ إذا وضعناه إلى جوار فصل الأغراض ـ مدى التداخل بينهما عند الكتاب.

ويبين أن القدماء قصروا أنظارهم على المضامين الجزئية، وأن المحدثين ـ منذ أمين الخولى ـ ارتقوا إلى المضامين العامة، فيما عدا ابن الشريف فذكروا أقساما قليلة، غير أن كل واحد من هذه الأقسام يضم عناصر متعددة.

ولذلك أعجب د. محمد جابر الفياض بصنيع المحدثين، فأعلن: لقد بذل أمين الخولى جهدا مشكورا فى تصنيف الأمثال، بحسب ما تناولته من موضوعات.

وأكثر من هذا أنه أخذ يقارن بين الأمثال التى تناولت موضوعا واحدا فقارن بين تمثيل الحياة الدنيا فى سورة يونس، وتمثيلها فى سورة الكهف. وكذلك فعل محمود بن الشريف من غير أن يقارن بين ما تماثل منها، أو بدا متماثلا. ويبدو لى أن هذه الطريقة فى الإشارة إلى الموضوعات التى عالجتها الأمثال القرآن، والتعريف بها أولى من غيرها من الطرق. فهى أولى من أن يشار إليها إشارة عامة غير دالة

بوضوح على تلك الموضوعات، وأولى من تركها على ما هى عليه من كثرة توازى كثرة الأمثال ذاتها[٤٥].

الهوامش

(١) الزركشى ١/٤٨٦ . معترك ١/٤٦٤ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٣/٢٩ . العمرى ١٦٢ . أبو سليمان ١١٧ الفياض ٢٩٤ .

(٢) الزركشى ١/٤٨٦ . معترك ١/٤٦٤ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٣/٢٩ . العمرى ١٦٢ . أبو سليمان ١١٧ . الفياض ٢٩٤ .

(٣) الزركشى ١/٤٨٦ . العمرى ١٦٢ . أبو سليمان ١١٧ .

(٤) الزركشى ١/٤٨٦ . العمرى ١٦٢ . أبو سليمان ١١٧ .

(٥) الفياض ٢٩٤ . وانظر إسماعيل ٣٣٦ .

(٦) الفياض ٢٩٤ .

(٧) الفياض ٢٩٤ .

(٨) الفياض ٢٩٤ .

(٩) الفياض ٢٩٤ .

(١٠) معترك ١/٤٦٤ ـ ٥ . الإتقان ٢/٣٦٤ ـ ٥ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٣/٢٩ ـ ٣٠ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . الفياض ٢٩٤ . وانظر الزركشى ١/٤٨٧ . العمرى ١٦٣ ،

(١١) معترك ١/٤٦٤ . الإتقان ٢/٣٦٤ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٣/٢٩ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . الفياض ٢٩٤ .

(١٢) معترك ١/ ٤٦٤ ـ ٥ . الإتقان ٢/٣٦٤ ـ ٥ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٣/٢٩ ـ ٣٠ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . الفياض ٢٩٤ . وانظر الزركشى ١/٤٨٧ . القطان ٢٩٨ . العمرى ١٦٣ . حبنكة ٦٠ .

(١٣) بلاغة ٣٤ . انظر القطان ٢٩٨ . شحاتة ٢٦١ . حبنكة ٩٩ . أبو سليمان ١٢٩ .

(١٤) معترك ١/٤٦٤ ـ ٥ . الإتقان ٢/٣٦٤ ـ ٥ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٣/٢٩ ـ ٣٠ . أبو فرحة ٣٧٢ . أبو سليمان ١١٨ . الفياض ٢٩٤ . وانظر الزركشى ١/٤٨٧ . القطان ٢٩٨ . أمين ٢٣٢ . العمرى ١٦٣ . حبنكة ٦٠ .

(١٥) بلاغة ٣٤ . وانظر القطان ٢٩٨ . شحاتة ٢٦١ ـ ٢ . حبنكة ١٠١ . أبو سليمان ١٢٩ .

(١٦) دراسات ٣٦٠ ـ ١ .

(١٧) معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . وأتى به دون نسبة: العمرى ١٦٣ . قمحاوى ٣/٣٠ . أبو سليمان ١١٨ .

(١٨) معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . أبو سليمان ١١٨ . ولم ينسبه العمرى ١٦٣ . قمحاوى ٣/٣٠ . حبنكة ٦٠ ، ٩٩ .

(١٩) معترك ١/٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . أبو سليمان ١١٨ . ولم ينسبه العمرى ١٦٣ . قمحاوى ٣/٣٠ .

(٢٠) الفياض ٢٧٥ .

(٢١) الفياض ٢٧٥ .

(٢٢) الفياض ٢٧٥ .

(٢٣) الفياض ٢٧٥ .

(٢٤) الفياض ٢٧٥ .

(٢٥) سورة البقرة ١٦ ـ ٢٠ .

(٢٦) الأمثال ١٦١ ـ ٢ . الفياض ٢٦٨ . ولم ينسبه أمين ٢٣٣ .

(٢٧) سورة يونس ٢٤ . الأمثال ١٦٢ .

(٢٨) الأمثال ١٦٥ .

(٢٩) الأمثال ٨ . رضا ١٥٢ ـ ٣ . وأتى به غير منسوب: الزين ٣٩ .

(٣٠) الأمثال ٨ . رضا ١٥٣ . وأتى به غير منسوب: الزين ٣٩ . وانظر الفياض ٤٧٠ .

(٣١) الأمثال ٨ . رضا ١٥٣ . وانظر الفياض ٤٧٠ .

(٣٢) الأمثال ٨ . وانظر الفياض ٤٧٠ .

(٣٣) الأمثال ٨ .

(٣٤) الأمثال ٨ . وأتى به غير منسوب. الزين ٣٩ .

(٣٥) الأمثال ٨ . رضا ١٥٣ . ولم ينسبه الزين ٣٩ .

(٣٦) من علوم ١٥٣ .

(٣٧) الأمثال ٣٩ .

(٣٨) الأمثال ٣٩ .

(٣٩) دلالات ٧ ، ١٩٣ .

(٤٠) دلالات ٧ ، ١٩٣ .

(٤١) دلالات ٧ ، ١٩٣ .

(٤٢) الأمثال ٧ ـ ٨ ، ٢٩٢ .

(٤٣) الأمثال ١٤٧٠ . صميدة ٢٩ .

(٤٤) دراسات ٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٦٢ . وأتى بها دون نسبة: نيازى ١٧٩ ـ ٨٠ .

(٤٥) الأمثال ٢٧٥ .

٧ـ منزلتها

كان الشافعى أول من تطرق لمنزلة الأمثال. فقد عدّها مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن[١].

وعدها الترمذى مرآة النفس، ونموذجات الحكمة[٢]، وإذا ضربت للنفس الأمثال، صار ذلك الأمر لها ـ بذلك المثل ـ كالمعاينة، كالذى ينظر فى المرآة فيبصر فيها وجهه، ويبصر بها من خلفه، لأن ذلك المثل قد عاينه ببصر الرأس. فإذا عاين هذا، أدرك ذلك الذى غاب عنه بهذا[٣].

وجعلها على بن محمد الماوردى من أعظم علوم القرآن[٤].

وأفاض عبد القاهر الجرجانى فى الحديث عن منزلة الأمثال عند الأدباء والبلاغيين، وما تمنحه الكلام من حسن. فقال: أعلم أن مما اتفق العقلاء عليه: أن التمثيل ـ إذا جاء فى أعقاب المعانى، أو برزت

هى باختصار فى معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ـ كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها.. وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها.. وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا.

فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل فى النفوس وأعظم، وأهزّ للعطف، وأسرع للإلف، وأجلبِ للفرح، وأغلب على الممتدح. وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغر المواهب والمنائح، وأسْير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر.

وإن كان ذما، كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحده أحد.

وإن كان حِجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.

وإن كان افتخارا، كان شأوه أمدّ، وشرفه أجد، ولسانه ألذ.

وإن كان وعظا، كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ فى التنبيه والزجر[٥]..

وذهب الزركشى إلى أن الأمثال مقادير الأفعال، والمتمثل كالصانع الذى يقدر صناعته، كالخياط يقدر الثوب على قامة المخيط له، ثم يفريه، ثم يقطع. وكل شىء له قالب ومقدار. وقالب الكلام ومقداره الأمثال[٦].

وفى العصر الحديث قال محمد الخضر حسين: للأمثال أثر بليغ فى تلقى الدعوة بالقبول، لذلك أحرزت ـ بين الأساليب التى أجراها القرآن فى هدايته ـ منزلة سامية[٧].

وسبق أن رأينا مناع القطان يقول: الأمثال أوقع فى النفس وأبلغ فى الوعظ، وأقوى فى الزجر[٨].

وجعلها د. فؤاد على رضا عونا وزادا على الطريق[٩]، وأمهات الأعمال، فالكلمة الطيبة قد تطفىء حربا، وتنشر سلاما وأمنا، والكلمة الخبيثة قد تفسد أمة، وتنشر كذبة وإشاعة، وتنشر وباء فكريا يقضى على البشر الذين يقعون فريسة لها[١٠].

وصرح سميح عاطف الزين: للمثل فى الكلام مكانة هامة نظرا لما له من وقع غريب فى الآذان، وتأثير عجيب فى النفوس والقلوب. فهو يقرب المعانى إلى الذهن، ويعطى السامع الصورة المعبرة بأقصر اللفظ وأحسنه[١١].

ورأى د. محمد رأفت سعيد أن المعنى يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره باستحضار نظيره. فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففى الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا ينكره أحد. وكلما ظهرت لها الأمثال، ازداد المعنى ظهورا ووضوحا. فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له. فهى كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه. وهى خاصة العقل ولبه وثمراته[١٢].

وعلق د. محمد جابر الفياض على كلام الترمذى فقال: التفت الترمذى – بهذا – إلى أبرز خاصية من خصائص المثل وأهمها. فالمثل وسيلة إدراك ما لا يمكن إدراكه من الأمور المكنونة إلا عن طريقه.

وهى التفاتة لها ما لها من أهمية. إذ أبرز لنا قابلية الأمثال لاستيعاب التجارب المماثلة لتلك التى قيلت فيها، وذلك بتمثيله للمثل بالمرآة وقد استوعبت صورة الناظر إليها استيعابها لمن ماثله فى الوقوف أمامها أو شاركه ذلك(١٣).

وبعد ما تحدث عن منزلة الأمثال عامة أعلن: إذا كانت الأمثال بهذه المثابة، فلا غرابة فى أن تكون الأمثال القرآنية قد بلغت الغاية القصوى فى الأهمية. لما بلغته من براعة التصوير، ودقة التعبير، ولتناولها كل ما من شأنه أن ينير للإنسان طريقه فى الحياة، ويبدد من أمامه ظلمات الجهل والضلال. فالأمثال القرآنية وسائل إيضاح لما فى القرآن من أفكار، وما أشمل وأسمى ما جاء به القرآن منها. ومن هنا كانت الأمثال القرآنية نورا ميزت به الناس الغى من الرشاد، والهدى من الضلال، والخبيث من الطيب. فوقفت بمعونته على حقائق الأشياء وطبائعها(١٤).

وقال أيضا: ما من شىء أهم وأدق فى تحديد أهمية الأمثال القرآنية مما ذهب إليه القرآن نفسه. ولا يستطيع باحث أن يتغافل عن دورها فيه، ولا عما يترتب على ذلك من شرف مكانتها، وسمو منزلتها. إذ لولا عظم شأنها لما تضمنها، فضلا عن إكثاره منها. يضاف إلى ذلك أن القرآن أكثر من الآيات التى أشادت بها(١٥).

الهوامش

(١) الزركشي ١/٤٨٦ . معترك ١/٤٦٤ . الإتقان ٢/٣٦٤ . لاشين ٢٣٥ . شحاتة ٢٤٨ . قمحاوى ٣/٢٩ . العمرى ١٦٢ . أبو فرحة ٣٧١ . أبو سليمان ١١٧ . الفياض ٨، ٢٩٤ .
(٢) الأمثال ٢ . الفياض ٣٤، ١٠٨ .
(٣) الأمثال ٤ . الفياض ٣٤ .
(٤) معترك ١/٤٦٤ . الإتقان ٢/٣٦٤ . حسين ٢٩ . لاشين ٢٣٥ . شحاتة ٢٤٨ . أبو فرحة ٣٧١ . أبو إسماعيل ١١٧ . العبدلى ٦٣ . الفياض ٨، ٢٣٤، ٢٩٤ . أنور الجندى ٧١ .
(٥) أسرار ١١٥ ــ ٦ . العبدلى ٣٥ .
(٦) البرهان ١/٤٨٧ . وأتى به غير منسوب: العمرى ١٦٣ .
(٧) بلاغة ٢٦ .
(٨) مباحث ٢٩٩ . وجاء غير منسوب عند: شحاتة ٢٦٢ . أبو سليمان ١٣٠ .
(٩) من علوم ١٥٢ .
(١٠) من علوم ١٥٩ .
(١١) الأمثال ٢١ .
(١٢) دلالات ٥، ١٩٣ .
(١٣) الأمثال ٣٤ .
(١٤) الأمثال ٧ .
(١٥) الأمثال ٢٨٧ .

٨- خصائصها

ذكر الكتاب المنسوب إلى أبى عبيد أن الأمثال يجتمع لها ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه[١].

والمعروف بين العلماء أن هذه الخصائص من قول إبراهيم بن سيار النظام، الذى أضاف إليها خلة رابعة. وعدّ الأربعة شروطا للأمثال، لاتجتمع فى غيرها من الكلام، ولذلك عدها نهاية البلاغة والشروط الأربعة هى:

١ ـ إيجاز اللفظ[٢].

ويرر نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير هذه الخاصة، فذكر أن الأمثال لما كانت كالرموز والإشارات، التى يلوح بها على المعانى تلويحا، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً[٣].

وشرح منير القاضى ما اتصفت به الأمثال من إيجاز فصرح بأن أساتذة الأدب اعتبروا تمايزها عن غيرها من كلام العرب، بكونها عبارات موجزة لبعض الناس، فشت وسار استعمالها فى المخاطبات والمعاتبات، لتصوير الحال التى ذكرت فيه بالحال التى كانت قد أنشئت وقيلت فيه. وذلك إما لطرافه فى الصورة التى يحملها المثل، وإما لأن تلك الصورة توحى إلى ذهن السامع ما لا تؤديه رسالة أو صحيفة أو سطور، من تفسير أو إيضاح، أو معنى آخر يقتضيه المقام. وهذا هو معنى الإيجاز(٤).

وكشف البوطى عن آثار هذا الإيجاز فى بعض القصص فصرح: لقد جاءت طائفة من هذه الأمثال القصصية مركزة غاية التركيز حتى لكأنها إشارة للقصة، إذ اكتفت بالإخبار بالعمل وما ترتب عليه، من غير ما ذكر للتفاصيل ومنها قوله: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط. كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين، فخانتاهما، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا. وقيل: ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون، إذ قالت: ربِّ، ابن لى عندك بيتا فى الجنة، ونجنى من فرعون وعمله، ونجنى من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها، فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتبه، وكانت من القانتين﴾(٥).

ووصف د. الشريف العبدلى الأمثال بجوامع الكلم. وذكر أنها ـ عند من ألف فيها ـ تستعمل ـ فيما تستعمل فيه ـ فيما ورد من جوامع الكلم

المشتمل على أبلغ المعانى، وأحكم المبانى، فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ وكلام الصحابة والتابعين[٦].

ووصف د. محمد بكر إسماعيل هذا النوع من الإيجاز بالإيجاز البليغ[٧].

ويجدر أن نصرح بأن شرط الإيجاز لايتحقق فى جميع الأمثال القصصية بل ينحسر عن كثير، فتميل إلى الإطناب[٨].

ولاحظ العلماء أن القرآن ـ من أجل هذا الإيجاز الذى أولع به العرب فى فنونهم القولية ـ عمد إلى حذف أجزاء من الأمثال.

فذكر الطبرى فى تفسير الآية ١٧ من سورة البقرة: فإن قال لنا قائل: إنك ذكرت أن معنى قول الله ـ تعالى ذكره: كمثل الذى استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله خمدت وانطفأت، وليس ذلك بموجود فى القرآن، فما دلالتك على أن ذلك معناه؟

قيل: قد قلنا: إن من شأن العرب الإيجاز والاختصار، إذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذفت وتركت، كما قال أبو ذؤيب الهذلى:

عصيت إليها القلب، إنى لأمرها سميع. فما أدرى أرشد طلابها؟

يعنى بذلك: فما أدرى. أرشد طلابها أم غى. فحذف ذكر (أم غى) إذ كان فيما نطق به الدلالة عليها. فى نظائر لذلك كثيرة[٩].

وقال الزمخشرى فى تفسير قوله: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، فى كل سنبلة مائة حبة﴾[١٠]

قال: لابد من حذف مضاف، أى مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة(١١).

وجعل ابن تيمية الحذف قاعدة عامة فقال: من أعظم كمال القرآن تركه ـ فى أمثاله المضروبة، وأقيسته المنصوبة ـ لذكر المقدمة الجلية الواضحة، ثم إتباع ذلك بالإخبار عن النتيجة، التى قد عُلم من أول الكلام أنها هى المقصود. إنما يكون ضرب المثل بذكر ما يستفاد ذكره وينتفع بمعرفته. فذلك هو البيان، وهو البرهان. أما ما لا حاجة إلى ذكره فذكره عى(١٢).

وأعلن الزركشى أن المشبه يطوى ـ أى لايذكر ـ فى بعض الأمثال القرآنية، على طريق الاستعارة، كقوله: ﴿وما يستوى البحران: هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج﴾(١٣).

وجعل البوطى وحبنكة الحذف من خصائص الأمثال. فقال الأول: كثيرا ما تأتى أمثلة القرآن كلاما مستقلا بذاته، أى دون ذكر للمعنى الممثل له على غرار ما هو معروف فى مألوف اللغة العربية وأسلوبها. وإنما يكون المعنى الممثل به فى هذه الحال مطويا، يشار إليه فى تضاعيف المثال ذاته، بحيث لايجهل السامع أو القارئ المعنى الكلى الذى سبق له المثال(١٤).

وقال الثانى: من خصائص المثل أنه كثيرا ما يحذف منه مقاطع من الصورة التمثيلية، اعتمادا على ذكاء أهل الاستنباط. وعلى هذا فقد تعرض الصورة التمثيلية من وسطها أو من مشهد أخير فيها.

وقد يحذف من الممثل له مقاطع: فتُعرض مثلا بداياته وتحذف نهاياته، أو العكس، اعتمادا على أن المثل قد ذُكرت فيه الصورة المماثلة لما حُذف من الممثل له. فيدل المعروض في كل منهما على المحذوف من صاحبه(١٥).

وصرح د. الفياض بأن الجاهليين سيروا أكثر أمثالهم على سبيل الاستعارة التمثيلية. فعدلوا عن ذكر المشبه، مكتفين بالإشارة إلى المشبه به. ومن هنا كانت أكثر أمثالهم أشبه ما تكون بالرموز والإشارات(١٦).

أما أمثال التشبيه والتمثيل والموازنة - في القرآن - فقد ذُكر الركنان - المشبه والمشبه به - في كثير مما صرح القرآن بمثليته، وقدم المشبه على المشبه به، كقوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾.

ولم يُعرض القرآن عن ذكر المشبه، أو الإشارة إليه، إلا حين يكون معلوما واضحا من المشبه به أو السياق الذي ورد فيه، كقوله: ﴿ضرب الله مثلا: رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل: هل يستويان مثلا. الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾(١٧). فالمشبه به صريح في أن المراد تشبيه المؤمنين بالله وحده بعبد خالص لسيد واحد، وتشبيه المشركين بعبيد كل منهم عبد لأسياد متشاكسين. ومثل هذا يمكن أن يقال فيما ماثله، كما يمكن أن يقال في الأمثال القصصية.

وانفرد القرآن بحذف الممثل به من مثلين من أمثاله، خلافا لما عهد في أمثال العهدين القديم والجديد وأمثال الجاهلية، والكثرة المطلقة من أمثال القرآن ذاتها. وأحد هذين المثلين قوله: ﴿مثل الجنة التي وعد

المتقون، تجرى من تحتها الأنهار، أكلها دائم، وظلها، تلك عقبى الذين اتقوا، وعقبى الكافرين النار﴾[18] فهو تمثيل لجنة الآخرة بجنة الدنيا، مع النص على ما بين الجنتين من فارق. ولما لم يكن لجنة الآخرة ما يماثلها غير جنة الدنيا، لم تعد هناك من حاجة إلى ذكر جنة الدنيا. فى الوقت الذى لاتنصرف فيه الأذهان إلى مثل آخر. فكان حذفه أبلغ من ذكره[19].

يبين لنا هذا أن الطبرى والزمخشرى تحدثا عن حذف كلمة، وأن حبنكة تحدث عن حذف مقطع من الصورة التمثيلية، وأن ابن تيمية والزركشي والفياض تحدثوا عن حذف المشبه، وأن الطبرى وابن تيمية والفياض جعلوا الحذف قاعدة عامة، وعُرفا عربيا، وأن القرآن انفرد بحذف المشبه به.

٢ ـ إصابة المعنى[20]:

وأعلن د. الفياض أن القرآن أشاد ـ فى كثير من الآيات ـ بإصابتها للغرض الذى ضُربت من أجله[21].

وفسر د. بكر محمد إسماعيل هذا الشرط بأن يكون المثل مؤديا للغرض الذى ضرب له أو قيل فيه، بحيث إذا ألقى على المخاطب، وقع من نفسه موقعه، وأصاب مرماه، وسلم به تسليما لايقبل التردد. وهذا يقتضى أن يكون المثل مطابقا للواقع. مجريا عند السامع، لاينكره عقل ولا دين[22].

٣ ـ حسن التشبيه[٢٣]:

وفسر د. بكر محمد إسماعيل هذه السمة بأن يكون وجه الشبه بين المشبه والمشبه به قويا، يدركه الذهن من غير تكلف فى التأويل، وأن يكون فى التشبيه جدة وطرافة وابتكار، حتى يكون التأثير به أقوى على إبراز المعانى المعقولة فى صور محسّة[٢٤].

٤ ـ جودة الكناية[٢٥]:

وفسر د. بكر محمد إسماعيل هذه الخصلة بأن يعبر المثل عن حكمة دلت على صدقها التجربة؛ وشهد لها الواقع بالسلامة والصحة. فالكناية تأتى بالمعنى مصحوبا بدليله، وتبرز ما يستقبح ذكره فى صورة مقبولة، لا يأباها الحس المرهف، ولا يمجها الذوق السليم. فهى أسلوب مقنع ممتع ومؤثر[٢٦].

والغريب أن نجد عددا من العلماء يقفون موقفا متناقضا من هذه الخصائص. فقد ذهب د. عبد الله محمود شحاتة إلى أن المثل فى القرآن لايخضع لهذه الشروط لأنه أنواع متعددة[٢٧]. وذهب د. بكر محمد إسماعيل إلى أن أمثال القرآن مستوفية لهذه الخصائص إلى حد الإعجاز[٢٨].

والحق مع د. شحاتة لأن هذه الخصائص مستخلصة من الأمثال السائرة بين الناس، وتختلف هذه الأمثال ـ فى كثير من السمات ـ عن الأمثال القرآنية. وإنما توجد هذه الخصائص فى الأمثال التى استوحاها الناس من الآيات. وربما قصر د. إسماعيل نظره عليها حين قال ما قال.

ـ الغرابة:

اشترطها الزمخشري في قوله: لم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا لاقوا فيه غرابة من بعض الوجــــوه[٢٩]. وردد إعلان هذا الشرط في تفسيره لكثير من الأمثال القرآنية[٣٠].

ولاحظ الزركشي أن ما اقتضاه كلام الزمخشري من اشتراط الغرابة مخالف لكلام اللغويين[٣١].

ورأى محمد الخضر حسين أن الغرابة تكون فيما يحتوي عليه المثل من تشبيه أو استعارة أو قصة[٣٢].

واستبدل منير القاضي ـ كما سبق ـ الطرافة بالغرابة[٣٣].

وانفرد د. بكر محمد إسماعيل ومن تبعه بعدم اشتراط أن يكون في المثل غرابة.

وصرح د. الفياض: كنا نأمل أن يكشف الزمخشري ـ في أساس البلاغة ـ عن الغرابة التي اشترط وجودها في كل الأمثال.

وما لنا وهذا كله، والجاحظ الذي سبق الجرجاني والزمخشري ـ والذي نرجح أنهما تأثرا به، فيما ذهبا إليه من وجود الغرابة في الأمثال والتمثيلات ـ قد أوضح بما لايدع مجالا للشك أن الغرابة هي الطرافة الباعثة على الإعجاب.

من كل هذا يتضح أن الغرابة التى اشترط وجودها فى الأمثال، وفيما يستعار له المثل، من القصص والأحوال والصفات، إنما هى من هذا النوع الذى أشار إليه الجاحظ ومن جاء بعده، فهى الطرافة الباعثة على الإعجاب، وليست من الغموض والإبهام الذى لاطرافة فيه. ويؤيد هذا ويعززه ما للأمثال من مكانة بين أنواع التعبير، وما حظيت به من ذيوع، حتى صارت مثلا لكل ذائع فقيل: أسير من مثل.

ودوران الأمثال على مختلف الألسنة يحول دون أن يفهم من الغرابة فيها مجرد الغموض إذ كيف يمكن أن يفترض أن الناس تردد باعتزاز ما لا تعيه ولاتفهمه، فضلا عن أن تنشئه وتضربه متباهية.

يضاف إلى ذلك أننا - إن فسرنا الغرابة فى الأمثال بمجرد الغموض والإبهام - نكون قد هدمنا مابينها وبين الأحاجى والألغاز من حاجز واضح، كان - وما يزال - يفصل بين هذين اللونين من التعبير(٣٤).

وانفرد د. محمد بكر إسماعيل ومن تبعه بعدم اشتراط أن يكون فى المثل غرابة ولاطرافة(٣٥).

٥ - وكان الزمخشرى أول من نبه من مصادرى إلى أن العرب حافظوا على الأمثال وحموها من التغيير. وعلل ذلك بما فيها من غرابة من بعض الوجوه، وبالتماثل التام بين حالى المورد والمضرب(٣٦).

وعلل السكاكى عدم التغيير بورود المثل على سبيل الاستعارة(٣٧).

وجعل د. عبد المجيد عابدين صيغة المثل عنصرا أساسياً فى شعبيته وأصالته. فإذا فقد طابعه الشكلى، أهدر ركنا هاما من أركان شعبيته

وأصالته. وقد أدرك الرواة أهمية الصيغة فى المثل، فحافظوا على روايتها كما سمعوها، ولو كان فيها ما يخالف العربية[٣٨].

وشرح د. الفياض قول السكاكى فقال: غير خاف أن الأمثال التى وردت على سبيل الاستعارة، لو طرأ عليها أدنى تغيير ـ وفى الضمائر التى تضمنتها على وجه الخصوص ـ لخرجت عن أن تكون نفس الاستعارات التى سارت فى الناس أمثالا، غير أن الأمثال ليست ـ جميعا ـ من قبيل الاستعارة التمثيلية[٣٩].

ورد عدم تغييرها إلى خصائصها الأربعة التى ذكرها النظام. فالمثل ـ عندهم ـ أحسن وأوجز عبارة، يمكن أن تتضمن ما تضمنه من معنى مصيب. ولهذا تراضاها العامة والخاصة، وفاهوا بها فى السراء والضراء، كما ذهب الفارابى، فلا غرابة فى أن يحرصوا عليها، ويحتفظوا بها على ما هى عليه لفظا ومعنى، ما داموا يرون أن غيرها من العبارات التى ترمى إلى مثل ما رمت إليه عبارة المثل، لايمكن أن تكون مثلها فضلا عن أن تكون أفضل منها[٤٠].

وإذا كان كثيرون من العلماء كرهوا مجرد التمثل بالآيات القرآنية، فلا شك أنهم أكثر كراهية للتصرف فى نصوص هذه الآيات. قال الزركشى: لايجوز تعدّى أمثال القرآن. ولذلك أنكر على الحريرى قوله فى مقامته الخامسة عشرة: «فأدخلنى بيتا أحْرج من التابوت، وأوهى من بيت العنكبوت» فأى معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة وجوه، حيث قال: ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾[٤١]، فأدخل (إن)، وبنى

على أفعل التفضيل، وبناه من الوهن، وأضافه إلى الجمع، وعرف الجمع باللام، وأتى فى خبر (إن) باللام. وكان اللائق بالحريرى ألا يتجاوز هذه المبالغة. وما بعد تمثيل الله تمثيل! وقول الله أقوم قيل، وأوضح سبيل[٤٢].

وأوجز البوطى خصائصها فيما يلى:

أولاً: تعتبر أمثال القرآن ـ على اختلافها ـ لوحات فنية رائعة لتصوير مشاهد الطبيعة بأشكالها وأنواعها المختلفة. فالقرآن إذ يضرب الأمثلة بهذه المشاهد المنتزعة من مظاهر الكون وصوره، يؤلف بين القيم والمبادئ المجردة التى تنزل من أجلها، والمشاهد الطبيعية التى يعيش الإنسان فى أكنافها. وفى ذلك من إبراز وحدة الحقائق الكونية وترابطها الكلى ببعضها ما يطول شرحه ويعظم خطره[٤٣].

ثانياً: تأخذ الأمثال ـ فى أغلب الأحيان ـ طابع القصة، فى عرض الجزئيات وتفصيل صفاتها، وذلك على خلاف المألوف عند العرب، من تكثيف المثال وعرضه فى أقل قدر ممكن من الكلمات[٤٤].

وعلق بكرى شيخ أمين على الآيات ١٣ إلى ١٩ من سورة يس قائلا: ألا تلاحظ أنها ليست تلخيصا لقصة، ولا إشارة لها، ولا اقتباسا، ولا اقتضابا. وإنما هى قصة بأكملها جاءت على صورة مثل[٤٥].

وأعلن الفياض: كثير من الأمثال التى نص القرآن على مثليتها قصص، وصور مجازية طويلة عمد القرآن إلى تصويرها، للعظة والاعتبار. وغنى عن البيان أن القصة القرآنية إحدى وسائل القرآن فى معالجة كبريات مسائل العقيدة.

ولعل المقصود بقوله: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون﴾[٤٦]، هذه الأمثال القصصية، من بين ما قصدته.

ومع أن الأمثال القصصية وثيقة الصلة بأمثال التشبيه والتمثيل والمقارنة والموازنة، فإن الأسلوب القصصى فيها أظهر من غيره من الخصائص، ويظل ـ بلا شك ـ مميزا لها عن هذه.

ولقد نص القرآن على مثليةعدد غير قليل من القصص - تاريخية وتمثيلية ـ كقوله: ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا، فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه. فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا. فاقصص القصص لعلهم يتفكرون[٤٧].

وما دامت الأمثال القصصية التى نص القرآن على مثليتها قد جاءت تاريخية وتمثيلية، فإن من الممكن أن تعد جميع قصص القرآن أمثالا قصصية قرآنية، لأنها لا تكاد تختلف عن القصص التى عدها القرآن أمثالا ونص على مثليتها. فهى بين تاريخية وتمثيلية. وقد قصد منها العظة والعبرة[٤٨].

وجعل بكرى شيخ أمين من خصائصها السمتين الآتيتين:

١ ـ عمق الفكرة.

٢ ـ جمال التصور[٤٩].

وأعلن عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى: من تتبع الأمثال القرآنية نستطيع اكتشاف الخصائص التالية:

١ ـ دقة التصوير، مع إبراز العناصر المهمة.

٢ ـ التصوير المتحرك الحى الناطق، ذو الأبعاد المكانية والزمانية، والذى تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية. والحركات الفكرية للعناصر الحية فى الصورة.

٣ ـ صدق المماثلة بين المثل والممثل له.

٤ ـ التنويع فى عرض الأمثال: مرة بالتشبيه، ومرة بالعرض المفاجئ، وبالتمثيل البسيط مرة، وأخرى بالتمثيل المركب، وغير ذلك من فنون القول وأساليبه.

٥ ـ البناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثّل له[٥٠].

وأتى سميح عاطف الزين بالخصائص الخمس التالية:

١ ـ الإتيان بالأمور مجتمعة وعدم الإتيان بها فرادى، كما فى قوله: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾[٥١] تعبير عن الحياة كلها، من أولها لآخرها، دون ذكر تفاصيلها. ولذا أتت الأمثال فى القرآن مطلقة، بمعنى أنها لاتنطبق على حالة معينة، ولا على زمن معين أو أفراد معينين، حتى إن من يضرب الله بهم مثلا من أفراد أحد الأقوام لايذكر أسماءهم على سبيل الحصر، لأن المقصود ليس الفرد ولا الحالة، بل هى أمثلة وحالات تتكرر فى هذه الدنيا، وتوجد فى كل وقت[٥٢].

٢ ـ الإشعار بالحقائق المحسوسة التى أشارت إليها، وتوضيح المعانى الصعبة، فتجعلها فى متناول العقل البشرى، فى بيان معجز وترتيب عجيب. وذلك سبب عظمتها[٥٣].

٣ ـ عدم الاقتصار على مفهوم واحد من حيث التشخيص والتصوير والتمثيل، بل تندرج تحتها مفاهيم لاتحصى أى أن أمثال القرآن بمثابة قواعد تتفرع عنها أفكار عدة تتناول حقائق كثيرة[٥٤].

٤ ـ الدقة والواقعية، فإن المتأمل فى المثل القرآنى يلحظ دقته الفريدة المؤثرة، لأنه ـ دائما ـ لايمثل بالغريب العجيب. وإنما يتخير المحسوسات الموجودة ويعرضها بأوصافها ثم يضعها فى المثال لتكون شاهدا واضحا على ما يريد. وهو لايضع فى الممثل وصفا زائدا أو ناقصا، من أجل أن تكون صورته صادقة ملموسة[٥٥].

وقال د. محمد بكر إسماعيل: هذا والمثل القرآنى ـ فوق ما ذكرنا ـ يتميز عن غيره بتصوير الحقائق المجردة تصويرا لايبعد عن الواقع المحس، بمعنى أن ما فيه من تشبيه أو استعارة أو كناية أو مجاز إنما هو من مقومات الوصول إلى الحق والحقيقة، بعيد كل البعد عن الخيال المقصود لذاته بغية الإمتاع الذهنى أو العاطفى[٥٦].

٥ ـ التأثير النفسى: تستمد الأمثال القرآنية عناصرها من الكون والحياة والإنسان، لتظل قريبة من الإنسان أيا كان، تعيش معه، وتؤثر فيه. فكانت ـ من أجل ذلك ـ روعة التصوير التى بدت فيها ضرورية لها. وحتى يؤدى المثل القرآنى دوره التأثيرى تماما، نجده يتخذ من الطبيعة ميدانا يرسم منها صوره[٥٧].

وكذلك قال د. محمد رأفت سعيد: نلمس في المثل تأثيرا بالغا، إذا تناول قضية من القضايا[٥٨].

وزاد د. محمد بكر إسماعيل خاصة واحدة، هي: عدم مجيء هذا الأسلوب الحكيم في عزلة عن الآيات السابقة واللاحقة، وإنما يأتي شارحا لما قبله، ممهدا لما بعده، مصحوبا بالحكم على من أطاع ومن عصى[٥٩].

الهوامش

(١) عابدين ٩، ١٩٤ . العبدلي ٢٠ . الفياض ٨٧ . البواب ٧ .
(٢) ابن الشريف ١٠ . رضا ١٥٤ . الزين ٢١ . الفياض ٧٩، ٨٧ . ولم ينسبه: أمين ٢٣٠ شحاتة ٢٦٧ . إسماعيل ٣٥٠ . نيازي ١٩١ .
(٣) المثل ١/٧٥، ٧٧ .
(٤) مجلة المجمع ٤ ـ ٥ .
(٥) سورة التحريم ١٠ ـ ١٢ . الأمثال ٢٥٤ ـ ٥ .
(٦) الأمثال ١٧ ، ٢٠ . الفياض ٩٠ .
(٧) دراسات ٣٥٠ .
(٨) أمين ٢٣١ .
(٩) جامع ١/١١٢ .
(١٠) سورة البقرة ٢٦١ .
(١١) الكشاف ١/٣١٠ .
(١٢) مجموع ١٤/٦٢ .
(١٣) سورة فاطر ١٢ . البرهان ١/٤٩٢ . وانظر البوطي ٢١٠ . لاشين ٢٣٧ .
(١٤) من روائع ٢١٠ . الحمصي ٤١٨ .
(١٥) أمثال ١١٦ .
(١٦) الأمثال ٤٢١ .
(١٧) سورة الزمر ٢٩ .
(١٨) سورة الرعد ٣٥ .
(١٩) الأمثال ٤٢٤ ـ ٥ . وانظر صميدة ٣٧ .
(٢٠) ابن الشريف١٠ . رضا ١٥٤ . الزين ٢١ . الفياض ٧٩، ٨٧ . وذكرها غير منسوبة: أمين ٢٣٠ . شحاتة ٢٦٧ . إسماعيل ٣٥٠ . نيازي ١٩١ .
(٢١) الأمثال ٤٠٥ .
(٢٢) دراسات ٣٥٠ . وأتى به غير منسوب: نيازي ١٩١ .
(٢٣) ابن الشريف ١٠ . رضا ١٥٤ . الزين ٢١ . الفياض ٧٩، ٨٧ . وذكرها دون نسبة: أمين ٢٣٠ . شحاتة ٢٦٧ . إسماعيل ٣٥٠ . نيازي ١٩١ . وانظر العبدلي ١٧ .
(٢٤) دراسات ٣٥٠ . وأتى به دون نسبة: نيازي ١٩٢ .

(٢٥) ابن الشريف: ١٠ . رضا ١٥٤ . الزين ٢١ . الفياض ٧٩ ، ٨٧ ، وأتى بها دون نسبة: أمين ٢٣٠ . شحاتة ٢٦٧ . إسماعيل ٣٥٠ . نيازي ١٩٢ . وانظر العبدلي ١٧ .

(٢٦) دراسات ٣٥٠ . وأتى به غير منسوب: نيازي ١٩١ .

(٢٧) علوم ٢٦٧ .

(٢٨) دراسات ٣٥١ . وأتى به غير منسوب: نيازي ١٩٢ .

(٢٩) الكشاف ١/ ٧٢ ، ٣/ ٢٨٠ . حسين ٢٧ . القطان ٢٩١ . شحاتة ٢٥٠ . الفياض ٢٨ ـ ٩ ، ٨٤ .

(٣٠) الكشاف ١/ ٣٦٧ ، ٢/ ٥٣٢ ، ٥٦٥ ، ٦٩٢ ، ٣/ ٢٨٠ ، ٤/ ٣٤٨ .

(٣١) البرهان ١/ ٤٩٠ . الفياض ١٥٩ .

(٣٢) بلاغة ٣١ ـ ٢ .

(٣٣) مجلة المجمع ٤ ـ ٥ .

(٣٤) الأمثال ٨٤ ـ ٦ .

(٣٥) دراسات ٣٤٤ . ولم ينسبه نيازي ١٧٩ .

(٣٦) الكشاف ١/ ٧٢ . الفياض ٧٨ . ابن القيم ٦٦ . وانظر مديو ٣ . أمين ٢٢٦ . شحاتة ٢٤٩ . العبدلي ١٦ . إسماعيل ٣٤٢ .

(٣٧) الفياض ٧٩ .

(٣٨) الأمثال ٨٦ . وانظر الفياض ٧٦ .

(٣٩) الأمثال ٧٩ .

(٤٠) الأمثال ٧٩ ـ ٨٠ .

(٤١) سورة العنكبوت ٤١ .

(٤٢) البرهان ١/ ٤٨٤ .

(٤٣) من روائع ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٦ . الحمصي ٤١٨ . ٤٤٧ .

(٤٤) روائع ٢٠٩ . الحمصي ٤١٨ .

(٤٥) التعبير ٢٣١ ـ ٢ .

(٤٦) سورة العنكبوت ٤٣ .

(٤٧) سورة الأعراف ١٧٥ ـ ٦ .

(٤٨) الأمثال ٢٥٧ .

(٤٩) التعبير ٢٣١ .

(٥٠) أمثال ١١٥ ـ ٦ . وأتى بها غير منسوبة نيازي ١٩٥ ـ ٧ .

(٥١) سورة الكهف ٤٥ .

(٥٢) الأمثال ٤٥ ـ ٦ .

(٥٣) الأمثال ٤٧ .
(٥٤) الأمثال ٤٧ .
(٥٥) الأمثال ٤٨ ـ ٩ . وانظر الفياض ٤٠٥ .
(٥٦) دراسات ٣٥٣ .
(٥٧) الأمثال ٤٩ .
(٥٨) دلالات ٦، ١٩٣ .
(٥٩) دراسات ٣٥٣ . وأتى بها غير منسوبة: نيازى ١٩٣ .

٩ـ الصلة بينها وبين الحكمة

نقل الفياض عن أبى عبيد أنه قال: سميت الحكم القائم صدقها فى العقول أمثالا[١].

وسبق لنا أن رأينا الحكيم الترمذى يعد الأمثال نموذجات الحكمة[٢].

ووصل الأمر بإسحاق بن إبراهيم الفارابى أن عد المثل من أبلغ الحكمة[٣].

وأعلن أبو هلال العسكرى، جُعلت كل حكمة سائرة مثلا[٤].

وعنى د. عبد المجيد عابدين بتتبع هذه الصلة فى التراث السامى عامة، فوصل إلى أننا ـ إذا أمعنا النظر فى استعمال كلمتى مثل وحكمة فى الاصطلاح الأدبى القديم ـ لا نكاد نهتدى إلى نوع الصلة التى ربطت بين الاصطلاحين فى المراحل الأولى: أكان كل لفظ منهما مختصا بنوع من الكلام، أم كانا لفظين مترادفين، أم كانت الحكمة أعم

فى مـدلولهـا من المثل؟ مـهـمـا يكن، فـإن هذا المعنى هو الذى قـرره الاصطلاح العلمى المتأخر، فاتفق الباحثون على أن أدب الحكمة -Wis dom Literature أعم من أدب الأمـثـال. فكل مـثل حكمـة، وليس كل حكمة مثلا(٥).

ولما انتـقل إلى التـراث الإسـلامى وجـد القـرآن قـد وصف الله بأنه حكيم، فيما يقرب من مائة موضع، وقرر أنه واهب الحكمة ومعلمها(٦)، ووجـد سورة باسم لقمـان الحكيم ضمت وصـاياه لابنه، ووجـد النغمـة التأديبية والصيغة الأدبية أهم ما يميز المثل الكتابى(٧).

ورأى د. الفـيـاض أن هناك عـوامل يسـتطيع البـاحث أن يفـتـرض وجودهـا ـ منفردة أو مـجـتـمـعـة ـ أوحت إلى الدارسين ـ من قـريب أو بعيد ـ بالالتفات إلى هذه الصلة. منها:

أولاً: ورود سفر الأمثال فى العهد القديم، مزيجا من الحكم والأمثال.

ثانيـاً: ورود لفظ مـثل فى الأسـفـار القـديمة للعـهـد القـديم، دالا على الحكم والسيادة إلى جانب دلالته على المماثلة والمشابهة.

ثالثـاً: دلالة مـادة مـثل فى اللغـات السـامـيـة على مـعـانى الحكم والسيادة، مع ما لها من دلالة على المماثلة.

رابعاً: شمول الأقوال الموجزة السائرة للحكم والتشبيهات والتمثيلات.

خامساً: صدور كثير من الحكم والأمثال عن الحكماء.

سادساً: إعلاء الإسلام شأن الحكمة والمثل، ورفعه منزلتهمـا، قال تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾(٨) وقـــال: ﴿وتلك

الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون﴾(٩) وكثيرا في القرآن كثرة تدعو للتأمل.

سابعاً: اتفاقهما في غير قليل من الخصائص في الشكل والمضمون: فكل منهما وليد التجارب الفردية، ولكلٍ طابع تعليمي. أضف إلى ذلك أن كلا منهما يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم، ويعرض لقطات من تلك التجارب من غير أن يتقيد بجزئياتها ، ويستعين ـ على الأغلب ـ بالإيقاع الموسيقي للتأثير في النفوس، وتهيئتها، وجعلها أكثر مطاوعة لما يرمي إليه، فيسخر السجع والجناس لهذا الغرض(١٠).

ولما كانت هذه الصلة بين الحكمة والأمثال موضع اختلاف بين العلماء، فقد ذهب د. الفياض إلى أننا نستطيع ـ كيما ننتهي إلى تقرير طبيعة هذه الصلة ـ أن نقارن الحكمة بالمثل، ونحدد ما نختلف به عنه، وما تتفق به معه، من ملاحظة الأمور الآتية:

أولاً: إرجاع علماء العربية الحكمة ومادة (ح ك م) إلى المنع، وإرجاعهم المثل ومادة (م ث ل) إلى الشبه بشكل عام، وإلى المثال والتمثيل بشكل خاص. وغير خاف ما بين المنع والشبه من تباين، إلا أن الألفاظ لاتنحصر دلالاتها على ما افترض لها من أصول.

ثانياً: الأمثال كثيرا ما تجسد الفكرة عن طريق الصورة، فهي لهذا تعتمد على التشبيه والمقارنة والموازنة أكثر من اعتماد الحكم عليها.

ثالثاً: الأمثال تربط حاضر الأمة بماضيها (المضرب بالمورد) فهي غير منفصلة عن الحوادث والمناسبات التي أوحت بها، ولا عمن وقعت

لهم تلك الحوادث والمناسبات. أما الحكم فلا ترجع إلى الماضى - وإن كانت حصيلة تجاربه - لأنها تنطلق من تلك التجارب، وتعرض عن أصحابها وظروفهم - سواء نسبت تلك الحكم إلى أصحابها أو لم تنسب - لتكون قواعد عامة مجردة.

رابعاً: الحكم - بوجه عام - تهدف إلى التعليم والتوجيه والإرشاد، وبشكل مباشر. أما الأمثال فهى - وإن أفادت التوجيه - فإنه توجيه غير مباشر - فى الأغلب - وغير مقصود لذاته.

خامساً: الحكم - وإن كانت وليدة تجربة الحكيم وحصيلة خبرته - تتصدر تجاربنا فى الحياة، ولا تجىء فى أعقابها. أما الأمثال فتضرب فى أعقاب التجربة ولاتتصدرها.

سادساً: إذا اقتصرت الأمثال - فى الغالب - على ما يجرى فى الحياة اليومية، فإن الحكم تتناول هذا الذى يعتز به الناس فى حياتهم اليومية، وتتجاوزه إلى أفكار وخطرات تبعد قليلا أو كثيرا عنه.

سابعاً: الحكم والأمثال أقوال مكتملة، لاتقبل الزيادة أو النقصان.

ثامناً: كثيرا ما تستعين الحكم والأمثال بالإيقاع الموسيقى.

تاسعاً: تتسم الحكم المأثورة بمثل ما تتسم به الأمثال السائرة من إيجاز واقتضاب.

وإذا كانت بعض الحكم قد جاءت طويلة، فالأمثال القصصية لاتقل عنها طولا، فالطول لايكفى وحده لأن يكون فاصلا بين الحكم والأمثال كما ذهب نور الحق تنوير فى قوله: «ولكن لايصح القول إن كل حكمة

مثل، لأنها قد تكون طويلة مملة، فلا تجذب إليها أفكار الناس. ومن ثم لم تجر مجرى الأمثال، ولاتعد مثلا»[11].

وسار د. محمود على صميدة فى درب د. عابدين فعنى بهذه الصلة فى العهد القديم. وكشف أن الكثيرين من باحثى العهد القديم يخلطون بين لفظى مثل وحكمة، نظرا لورود كثير من الأمثال فى صورة حكم، وورود كثير من الحكم فى صورة أمثال، إضافة إلى أن مصطلح الحكمة فى العهد القديم يحمل معانى كثيرة[12].

نستبين من هذا الفصل أن قدامى العرب اكتفوا بالتسليم بالصلة بين الأمثال والحكمة، فى عبارات موجزة وسريعة، وأن عابدين والفياض هما اللذان أفاضا فى التناول.

ونستبين أن د. عابدين غلب عليه الطابع اللغوى، والاهتمام بالتراث السامى، وأن الفياض اتكأ عليه، ثم غلب عليه الميل إلى التفرقة بين الأمثال والحكمة ــ مع التسليم بالصلة بينهما ـ والإكثار من العناصر الجزئية، سواء فى العوامل التى دفعت إلى الاهتمام بدراسة الأمثال، أو مواضع الاتفاق والاختلاف بينها وبين الحكمة.

الهوامش

(١) الأمثال ١٠٨.
(٢) الأمثال ٢.
(٣) ديوان الأدب ١/ ٧٤. الفياض ٣٩، ١٠٨.
(٤) الفياض ١٠٨.
(٥) الأمثال ٨، ١١١ ـ ٢.
(٦) الأمثال ٨.
(٧) نفسه.
(٨) سورة البقرة ٢٦٩.
(٩) سورة العنكبوت ٤٣.
(١٠) الأمثال ١٠٩ ـ ١١.
(١١) الأمثال ١١٦ ـ ٨.
(١٢) الأمثال ١.

١٠ ـ أقسامها

التقسيم الأول

ذكر ابن تيمية أقدم تقسيم للأمثال المضروبة فى القرآن وهو ذلك الذى جعلها قسمين:

١ ـ ما يصرح فيه بتسميته مثلا، مثل (مثلهم كمثل الذى استوقد)(١)

٢ ـ وما لا يسمى بذلك(٢)

وأهمل ابن تيمية تسمية القسم الثانى ، والتمثيل له، وإن كان قد أكثر من أمثلة القسم الأول.

وكان الزركشى هو الذى أعطانا اسمى النوعين كما يلى:

١ ـ ظاهر، وهو المصرَّح به.

٢ ـ وكامن، وهو الذى لا ذكر للمثل فيه، وحكمه حكم الأمثال[٣].

وأجرى د. عبد المجيد عابدين تعديلا كبيرا على هذا التقسيم، جعله رباعيا على النحو الآتى:

١ ـ الأمثال الكامنة.

٢ ـ طائفة أخرى من الأمثال الموجزة: اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن، وشيوعها فى المسلمين، ولم تكن أمثالا فى وقت نزوله. وهى عبارة عن مبادئ خلقية ودينية مركزة، أذكر منها على سبيل المثال (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)[٤]

٣ ـ الأمثال القياسية.

٤ ـأمثال وردت فى سورة لقمان[٥]

وتوسط مناع القطان فجعل التقسيم ثلاثيا إلى:

١ ـ الأمثال المصرحة.

٢ ـ الأمثال الكامنة.

٣ ـ الأمثال المرسلة[٦].

وعاد أنيس المقدسى إلى التقسيم الثنائى كما يلى:

١ ـ قسم على سبيل التشبيه الظاهر، وهو النوع الأول عند ابن تيمية.

٢ ـ ما لا يظهر عن سبيل التشبيه أو القصص، ولكنه يجىء أمثالا ترسل فى الناس حكماً بالغة[٧] وأراد به النوع الثانى عند د. عابدين.

وعاد سميح عاطف الزين إلى التقسيم الثلاثى كما يلى:

١ - الأمثال السائرة.

٢ - الأمثال القياسية

٣ - الأمثال الخرافية[٨].

وهاك بيان هذه الأنواع

تدل الأخبار التى اجتمعت عندى - فى جلاء - أن التقسيم الذى ذكره ابن تيمية ليس من ابتكاره، وإنما هو أقدم منه كثيرا. ولما كانت أقدم الأخبار تتحدث عن الأمثال الكامنة، فإننى أبدأ بالحديث عنها.

الأمثال الكامنة

حكى مضارب بن إبراهيم بن طوق: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد فى كتاب الله «خير الأمور الوسط»؟

قال: نعم، فى أربعة مواضع:

الأول: فى البقرة فى قوله - تعالى - (لا فارض ولابكر، عوان بين ذلك)[٩] وهى المسنة. يريد الفارض.

الثانى: قوله: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، وكان بين ذلك قَواما)[١٠]

الثالث: قوله لنبيه: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، وابتغ بين

ذلك سبيلا»[١١]

والرابع: قوله للنبى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولاتبسطها كل البسط»[١٢]

واستمر الرجلان فى السؤال والجواب، وقد وصلت إلينا ثمرة هذا الحوار فى كتاب صغير، تحت عنوان «الأمثال الكامنة فى القرآن»[١٣].

وذهب أحمد بن إبراهيم الهاشمى إلى أن الأمثال الكامنة فى القرآن هى الآداب البارعة، والحكم الباهرة. ومثّل بقوله: «يا أيها الذين آمنوا: اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين»[١٤] وأورد ما يقرب من ٧٠ آية فى معان مختلفة[١٥].

وزادا عبد المجيد عابدين التسمية والتعريف وضوحا، فقال: الأمثال الكامنة هى التى لا يصرح القرآن بأنها أمثال، ولم ترد فيه حكاية لأمثال شائعة، وإنما هى أمثال فى نظر العلماء، من حيث ما ورد فيها من معنى قريب الصلة بمعانى أمثال معروفة سائرة فهى أمثال بمعانيها لا بألفاظها[١٦].

ثم اعترض على عدها أمثالا قائلا: من الواضح أن هذه العبارات القرآنية لا تدخل فى باب الأمثال فإن مجرد اشتمال العبارة على معنى ورد فى مثل من الأمثال. لا يكفى لإطلاق لفظ المثل عليها، فالصيغة الموروثة ركن أساسى فى المثل. لذلك نرى أن اصطلاح العلماء على تسمية هذه العبارات القرآنية «أمثالا كامنة» محاولة لا تستند على دليل نصى ولا تاريخى[١٧].

وذكر الفياض أن نور الحق تنوير اضطرب فى مثلية الكامنة أيما اضطراب. فمرة رآها قد اكتسبت صفة المثلية، ومرة رأى أنها لم تكتسب هذه الصفة، فقال «ولكن النوع الثانى - أى المثل الكامن فيقصدون به ذلك العدد الكبير من الأمثال الموجزة السائرة، التى جرت على ألسنة الناس، وذاعت فى الآفاق، وصارت تستعمل بدلا من الأمثال العربية القديمة أو الأعجمية فى مناطق مختلفة، وفى طبقات دون الطبقات الأخرى. وبعد كل هذا الذى ذكره، عقب قائلا: «على أن حالتها لم تكسب صفة المثلية، كقوله تعالى: «لا فارض ولا بكر، عوان بين ذلك» لم نسمع أنها استعملت فى معنى «خير الأمور أوسطها» مع اشتمالها على ذلك المفهوم، ولذا نعده من المثل الكامن لا المثل الموجز السائر[١٨]».

كذلك ذكر أن محمد الشبيبى ذهب إلى أن اعتزاز العرب بأمثالها وظنهم أن ألسنتهم قد انفردت بها، هو الذى حدا بهم إلى التساؤل: هل يوجد لهذه الأمثال أشباه فى القرآن؟ وإلى أن أجهدوا أنفسهم من أجل الإجابة عن هذا السؤال[١٩].

ويبدو أن مناع القطان حاول أن يتحاشى اعتراض د. عابدين، فعرف الأمثال الكامنة بالتى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة فى إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى مايشبهها[٢٠].

وعرفها عبد الفتاح القاضى بأنها جملة أو جمل لم يصرح فيها بلفظ يفيد التشبيه، لكنها تشير إلى معان يصح نقلها إلى نظائر معناها، فجرت مجرى الأمثال[٢١].

وسار د. بكرى شيخ أمين خلف عابدين، وعد القول بالأمثال

الكامنة تنطعا وتكلفا لاحد لهما، فهذه الأمثال الكامنة لا تعتبر شيئا يستحق أن يدرج في بحث الأمثال[٢٢].

وخالفهما د. عبد الله شحاتة ذاهبا إلى أن الأمثال في القرآن لا تخضع لما اشترطه النظام ومن وافقه من خصائص في المثل السائر، لأن للقرآن أسلوبا يتميز به على سائر الكلام.

فأحيانا يوافق الشروط المطلوبة في المثل، وأحيانا يخرج عليها، ولكنه في كلتا الحالتين يظل مثلا من أمثلة القرآن المتعددة الأنواع[٢٣].

وسمى د. محمد رأفت سعيد الأمثال الكامنة: المتضمنة[٢٤].

ورأى د. محمد جابر الفياض أن ما ذهب إليه الزركشي - الذي كان يظنه أول من قسم الأمثال إلى ظاهرة وكامنة - في المثل الظاهر واضح الدلالة، أما ما أشار به إلى المثل الكامن فغير واضح وضوحا تاما. فلا ندري إن كان قد أراد به: ما لاخلاف بين الظاهر وبينه إلا في ذكر لفظ المثل وعدم ذكره أو أنه أراد به ما أشبه الأمثال الموجزة السائرة بصفة عامة، والحكمية منها بصفة خاصة.

وأكبر الظن عنده أنه أراد ما أشبه الأمثال السائرة، لا ما أشبه الأمثال القرآنية الظاهرة، لأمور منها:

١ - لو أنه أراد به ما أشبة الظاهر - فيما سوى ذكر لفظ المثل - لما كانت به حاجة لأن يقول (وحكمه حكم الأمثال).

٢ - لو أراد به ما أشبه الظاهر لجاء بلفظ (المثل) مفردا مقيدا، كأن

يقول: وحكمه حكم المثل الظاهر، أو لاستغنى بذكر وصفه عن ذكره، كأن يقول وحكمه حكم الظاهر أو المصرح به.

٣ - لم يتفق لأحد ممن سبق الزركشى أو عاصره أن عد الأمثال القرآنية، التى لا تختلف عن الأمثال الظاهرة فى غير لفظ المثل أمثالا كامنة. والمعروف عنهم أن المثل الكامن عندهم ما أشبه الأمثال السائرة، وأنهم كثيرا ما كانوا يقولون: إن فى القرآن ما للعرب والعجم، والخاصة والعامة، من أمثال سائرة[٢٥].

وبعد أن رمى الفياض نور الحق تنوير بالاضطراب كما سبق، عقب على كلامه قائلا، لا أدرى من من العلماء عد هذه الآية - البقرة - بالذات - من الأمثال الموجزة السائرة، ومن من العلماء قد ذهب إلى أن الأمثال الكامنة (ذلك العدد الكبير من الأمثال السائرة..) أكبر الظن أنه حين رأى تفضيل العلماء لها، عند مقارنتهم إياها بأمثال العرب والعجم تهيأ له أنها - لابد - أن تكون أوسع منها انتشارا، وأنها قد حلت محلها، وليس الأمر كذلك، ولم يقل أحد من الباحثين به[٢٦].

وواضح مما سبق أن الحسين بن الفضل ومن تبعه عدوا الآية المذكورة من الأمثال الكامنة. ولكن الفياض على حق فى قوله: إن أحدا لم يزعم أن الآيات أزاحت الأمثال الأصلية عن الاستعمال.

واعترض الفياض على كلام الشبيبى أيضا مصرّحا بأن الواقع أنهم لم يكونوا يظنون أن ألسنتهم قد انفردت بضرب الأمثال، وذلك لمعرفتهم بما للعجم من أمثال، أشار إليها السائل نفسه، ولأنهم كانوا يخرجون أمثال العجم من القرآن مثلما كانوا يخرجون أمثالهم منه.

والذى يبدو لى أن صنيعهم هذا - لم يكن وليد اعتزاز العرب بأمثالهم

بقدر كونه وليد اعتزازهم بالأمثال - عموما - من جهة، واعتزازهم بالقرآن من جهة أخرى.

هذا وفى القرآن ما يغرى - ظاهره فى الأقل - بمحاولة ما يبتغونه من أمثال فيه - من ذلك قوله: (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل[٢٧]) .. وغيرها من الآيات التى أشارت إلى ضرب الله الأمثال وإكثاره منها، وإن كانت هذه الآيات تشير إلى ما يحتاج إليه الناس فى أمور العقيدة التى جاء بها القرآن. وإلا فالقرآن لم يأت بكل مثل من أمثال الناس السائرة أو ما أشبهها، إذ فى هذه الأمثال ما فيها مما لا ينسجم وهذه العقيدة[٢٨].

واتفق الفياض مع د. عابدين فى استبعاد الأمثال الكامنة، لأنه كان يرى أن أمثال القرآن: ما صرح القرآن - نفسه - بمثليتها، وما أشبهها، وأمكن قياسه عليها، أما ما سوى ذلك، فليس من المثل القرآنى فى شىء وإن أشبه الأمثال السائرة، وفى القول بمثلية ما أشبه الأمثال السائرة إخضاع للأسلوب القرآنى لأساليب ومقاييس خارجة عنه، نأباه الإباء كله.

ومن هنا فليس هناك ما هو أبعد من القول بوجود المثل الكامن - بهذا المعنى - فى القرآن، ولا أضيع من الجهود التى بذلت لإخراج أمثال العرب والعجم، والخاصة والعامة منه. فلا يزيد فى فضل القرآن تضمنه لهؤلاء أو غيرهم من الأمثال. ولا يقلل من فضله خلوه منها، فللقرآن أمثاله، ولهم أمثالهم، وله فى أمثاله أسلوبه، ولهم أساليبهم[٢٩].

وعلى الرغم من اتفاق د. الفياض مع د. عابدين فى الرأى النهائى،

خالفه فيما استند إليه، فقال: الواقع أننا إذا كنا نملك الدليل على أنها ليست أمثالا قرآنية وفقا للمفهوم القرآني للمثل، فإننا لا نملك الدليل على خروجها عن دائرة الأمثال عموما، إذ الدليل النصي غير لازم، فيما سوى أمثال القرآن والحديث وما شاكلهما من أمثال التوراة والإنجيل. وهذه أمثال العرب، وليس فيها ما قد نص على مثليته في المثل نفسه. ولم يخرجها عدم النص من حظيرة الأمثال.

أما الدليل التاريخي، فليس من السهولة القول: إن محاولتهم - هذه - تفتقر إليه، فمن منا اليوم يستطيع أن يقطع في موضوع انتشارها واشتهارها أو عدمه، في هذا الجيل أو ذاك في العالم الإسلامي المترامي الأطراف؟ والذي نعهده أن العلماء قد أكثروا من الإشارة إلى ما تمثلت به الناس من هذه الآيات. والدكتور عابدين نفسه ذكر أن طائفة من هذه الأمثال كانت قد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن(٣٠).

ووافقهم د. بكر محمد إسماعيل، ذاهبا إلى أن المثل الكامن مخالف في حقيقته للمثل ومفهومه في اللغة. وما ذكره السيوطي وغيره عن الحسين بن الفضل ضرب من تدريب القريحة على استخراج النظائر القرآنية لبعض ما تمثل به العرب - في عصورهم المختلفة - من الأقوال الحكيمة التي أوجزت حادثة من الحوادث، أو دلت على معنى من المعاني المعقولة(٣١).

الهوامش

(١) سورة البقرة ١٧

(٢) مجموع ١٤/٦٥. وانظر لاشين ٢٣٦.

(٣) البرهان ١/٤٨٦ الفياض ٢٢٨ . وأتى به دون نسبة: معترك ١/٤٦٦, ٤٦٨ . الإتقان ٢/٣٦٦ الهاشمى ١/٢٨٨ . حسين ٢٩ . موسى ٢٣٨ . لاشين ٢٣٦ . المصرى ١٦٣ . قمحاوى ٣/٣١. الزين ٤٣ ـ ٤ . سعيد ٧ . البواب٨.

(٤) الأمثال ١٣٦ ـ ٧ وانظر إسماعيل ٣٤٥. نيازى ١٨٤ .

(٥) سورة آل عمران ٩٢.

(٦) مباحث ٢٩٢ . وأتى به دون نسبة: شحاتة ٢٥٣ . المصرى ١٦٣ . المدخل ١/٤٩٦ . أبو إسماعيل ١٢٢ . إسماعيل ٣٤٤. نيازى ١٨٤ .

(٧) تطور ٥٨ ـ ٦٠ .

(٨) الأمثال ١٩ ـ ٢١ .

(٩) الآية ٦٨ .

(١٠) سورة الفرقان ٦٧ .

(١١) سورة الإسراء ١١٠ .

(١٢) سورة الإسراء ٢٩ .

(١٣) معترك ١/٤٦٨ ـ ٧٠ . الإتقان ٢/٣٦٧ ـ ٩ . حسين ٢٩ . عابدين ١٣٥ ـ ٦ . موسى ٢٤٣ لاشين ٢٧٧ ـ ٩ . القاضى ٨٢. قمحاوى ٣/٣٣ ـ ٥ رضا ١٦١ . العبدلى ٦٢ . الفياض ٩/٢٣٣ ـ ٥ إسماعيل ٣٤٧ . نيازى ١٨٦ .

(١٤) سورة التوبة ١١٩ .

(١٥) جواهر ١/ ٢٩٠ . الفياض ٢٣٥ .

(١٦) الأمثال ١٣٥ . الفياض٢٣٥ . وانظر القطان ٢٩٥ . أمين ٢٣٠ . إسماعيل ٣٤٦. نيازى ٣٤٦ .

(١٧) الأمثال ١٣٦ . وانظر أمين ٢٣١ .

(١٨) الأمثال ٢٣٥ ـ ٦ .

(١٩)الأمثال ٢٣٧ .

(٢٠) مباحث ٢٩٥ . وأتى به غير منسوب شحاتة ٢٥٥ ـ ٦ . المصرى ١٦٤ . المدخل ٤٩٧ . أبوإسماعيل ١٢٤ .

(٢١) من علوم ٨١ ـ ٢ . وانظر رضا ١٦١ .

(٢٢) التعبير ٢٣١ . شحاتة ٢٦٧ ـ ٨ .

(٢٣) عتوم ٢٦٨.
(٢٤) دلالات ٧، ٢٩٣.
(٢٥) الأمثال ٢٢٩ ـ ٣٣.
(٢٦) الأمثال ٢٣٦.
(٢٧) سورة الإسراء ٨٩.
(٢٨) الأمثال ٢٣٧ ـ ٨.
(٢٩) الأمثال ٢٣٧.
(٣٠) الأمثال ٢٣٩.
(٣١) دراسات ٣٤٩. وأتى به دون نسبة نيازي ١٨٨.

الأمثال الظاهرة

نعرف من إطلاق اسم الأمثال الكامنة على الأمثال السابقة أن القدماء - منذ عصر ابن الفضل - عرفوا قسيمه هذا، وميزوه عنه، غير أننا لا نعرف الاسم الذى أطلق عليها إلى أن ذكر الزركشى الاسم الذى أوردته آنفا.

وسماها محمد الخضر حسين الأمثال الصريحة[1] ود. عبد المجيد عابدين الأمثال القياسية[2]، ومناع القطان المصرحة[3]: ود. الفياض المقصودة[4].

وعرف د. عابدين المثل القياسى بأنه صورة مجازية ليست عبارة موجزة ولكنها حكاية أو وصف قصد به توضيح فكرة أوالبرهنة عليها بطريق المقارنة والقياس والتمثيل[5].

وجعله من الأمثال الكتابية، غير أنه مطلب إذا قورن بها، ويجمع بين مزايا المثلين الكتابى والشعبى، أى يجمع بين عمق الفكرة وجمال

التصوير. وهو ليس تلخيصا لقصة ولا إشارة إليها، وليس اقتباسا ولا اقتضابا، وإنما هو قصة بأكملها أو صورة مجانية مبسوطة جاء بها الحكيم للإيضاح أو التأديب والتحذير .

وذكر أن أمثلة منه وردت فى أسفار العهد القديم ثم كثر استخدامه فى أيدى الأحبار والربانيين فى توضيح التعاليم اليهودية وتفسيرها. ثم نجده فى أقوال الانجيل والقرآن ورجال والديانتين المسيحية والإسلامية. ويصرح القرآن فى كثير من الأحيان - إن لم يكن فى أكثرها - بلفظ (المثل) . وقدر عدد الأمثال القياسية التى ورد فيها لفظ المثل صراحة فى القرآن بثلاثين مثلا.

واحترس د. عابدين فذكر أنه يعد من الأمثال القياسية ما سماه البلاغيون العرب (التمثيل المركب) كقوله: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) فقد شبه اليهود - وقد حملوا التوراة وقرأوها وحفظوا ما فيها، ولم يعملوا بها - بحال حمار يحمل أسفارا، هى مستودع العلوم وثمرات العقول، وهو جاهل بمضمونها ووجه الشبه شقاء كل باستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة من غير أن يحصل على شىء منها، والغرض هو ذم اليهود بتلك الحال وتقبيح أمرهم. وليس من السهل انتزاع هذا الوجه ولا حصول هذا الغرض إلا إذا روعى فى المشبه أمور ثلاثة:

الأول: حمل فيه مشقة وعناء.

والثانى: محمول مخصوص هو أسفار العلوم.

والثالث: حامل هو الحمار الذى هو مثل فى ا لجهل والبلادة.

ثم لا يمكن اعتبار كل واحد من هذه الثلاثة مستقلا عن الآخر لتكون تشبيها بعد تشبيه أي متعددا، لأن الغرض المتقدم لا يتحقق إلا بامتزاجها، فإنه لايتعلق بالحمل حتى يكون المحمول أسفارا، ولا بهذين حتى يقترن بهما جهل الحمار الحامل(٦).

واستبعد الأمثال القائمة على التشبيه البسيط، وعلى التشبيه المفرد والسؤال المجمل، ولم يعدها أمثالا قياسية(٧).

وعلى الرغم من ذلك ذكر أن المفسرين والبلاغيين لم يقتصروا على هذه حين تحدثوا عن التمثيل في القرآن بل أضافوا إليها قصصا وصورا مجازية أخرى من قبيل التمثيل، على الرغم من أن لفظ المثل لم يرد فيها صراحة. فمن ذلك قول محمد عبده في تفسير قوله تعالى: (أوكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها). قال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها؟! فأماته الله مائة عام ثم بعثّه. قال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوما أو بعض يوم. قال: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه. وانظر إلى حمارك. ولنجعلك آية للناس. وانظر إلى العظام: كيف ننشزها ثم نكسوها لحما، فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير(٨)

وعرف مناع القطان الأمثال المصرحة بما صرح فيه بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه(٩) ود. محمد بكر إسماعيل بما صرح فيه بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه(١٠)ود. على حسين البواب بتشبيه شيء بآخر أو تمثيل صورة غائبة بصورة مشاهدة محسوسة ليسهل تصورها وإدراكها(١١).

وأود أن أعبر عن عدم اتفاقى مع د. الفياض فى إعلان العجز عن الحكم بانتشار الأمثال أو عدم انتشارها، فى العالم الإسلامى المترامى الأطراف، والمتعدد الأجيال، لأننا لدينا من الأخبار ما يضىء أرجاء هذا العالم، ويمكننا من هذا الحكم. ولوصح إعلان الفياض وعلته لتغيرت لدينا أحكام كثيرة يتلقاها العلماء عن العلماء قضية ثابتة لايقاربها شك.

هوامش

(١) بلاغة ٢٩ . المدخل ١/٤٩٦ .
(٢) الأمثال ١١/١٥٨ . أمين ٢٣١ . الزين ٢٠ . إسماعيل ٣٤٥ . نيازى ١٨٤ .
(٣) مباحث ٢٩٢ وأتى به دون نسبة شحاتة ٢٥٣ . العمرى ١٦٣ . المدخل ١/٤٩٦ . أبو إسماعيل ١٢٢ وانظر إسماعيل ٣٤٥ . نيازى ١٨٤ .
(٤) الأمثال ٢٥١ ـ ٢ .
(٥) الأمثال ١١ ـ ٢، ١٣٦ ـ ٧، ١٥٨ ـ ٦٠ وانظر أمين ٢٣١ ـ ٣ .
(٦) الأمثال ١٥٩ ـ ٦٠ وانظر أمين ٢٣١ ـ ٢ .
(٧) الأمثال ١٥٩ ـ ٦ .
(٨) سورة البقرة ٢٥٩ . الأمثال ٢٦١ ـ ٢ . وأتى به دون نسبة أمين ٢٣٢ ـ ٣ .
(٩) مباحث ٢٩٢ . وأتى به دون نسبة شحاتة ٢٥٣ . العمرى ١٦٣ . المدخل ١/٤٩٦ . أبو إسماعيل ١٢٢ وانظر إسماعيل ٣٤٥ . نيازى ١٨٤ .
(١٠) دراسات ٣٤٥ . ولم ينسبه نيازى ١٨٤ .
(١١) الأمثال ٨ .

الأمثال المرسلة

ذكرها مناع القطان وعرفها بجمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهى آيات جارية مجرى الأمثال. ومن أمثلتها «الآن حصحص الحق»[1].

ويكشف هذا التعريف - مضافا إليه حقائق أخرى - أنه أراد به الآيات التى ذكرها الثعالبى وأعلن أنها جرت مجرى الأمثال، والنوع الثانى من الأنواع التى ذكرها د. عبدالمجيد عابدين، ولم يعطه اسما معينا، وما سماه نور الحق تنوير ومن تبعه الأمثال المستوحاة من القرآن، وسميح عاطف الزين الأمثال السائرة.

وقد اعترض ابن تيمية على عدها أمثالا قرآنية فقال: قد يعبر فى اللغة بضرب المثل أو بالمثل المضروب عن نوع من الألفاظ، فيستفاد منه التعبير كما يستفاد من اللغة، لكن لا يستفاد منه الدليل على الحكم كأمثال القرآن، وهو أن يكون الرجل قد قال كلمة منظومة أو منثورة

لسبب اقتضاه، فشاعت فى الاستعمال، حتى يصار يعبر بها عن كل ما أشبه ذلك المعنى الأول، وإن كان اللفظ فى الأصل غير موضوع لها، فكأن تلك الجملة المثلية نقلت بالعرف من المعنى الخاص إلى العام: كما تنقل الألفاظ المفردة. فهذا نقل فى الجملة مثل قولهم: «يداك أو كتا، وفوك نفخ» هو مواز لقولهم: أنت جنيت هذا، لأن هذا المثل قيل ابتداء لمن كانت جنايته بالإيكاء والنفخ، ثم صار مثلا عاما.

فهذا نوع من البيان يدخل فى اللغة والخطاب فالمتكلم به حكمه حكم المبين بالعبارة الدالة، سواء كان المعنى فى نفسه حقا أو باطلا، إذ قد يتمثل به فى حق من ليس كذلك.

فهذا تطلبه فى القرآن من جنس تطلب الألفاظ العرفية. فهو نظر فى دلالة اللفظ على المعنى لانظر فى صحة المعنى ودلالته على الحكم. وليس هو المراد بقوله: «ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل»[٢] فتدبر هذا، فإنه يجلو عنك شبهة لفظية ومعنوية[٣].

وعقد د.محمد جابر الفياض فصلا سماه «الأمثال المستوحاة من القرآن» ،أخذه من فصل بعنوان «الأمثال المستوحاة من قصص القرآن وآياته» لنور الحق تنوير. وعلق الفياض على عد تنوير الآيات أمثالا قرآنية قائلا: الذى لاشك فيه أن المسلمين كانوا قد تمثلوا بآيات من القرآن كثيرة، وضربوا المثل بشخصيات وحوادث وأشياء ورد ذكرها فيه غير أن علماء المسلمين لم يروا - وليس لهم أن يروا - الأمثال التى تولى المسلمون ضربها أمثالا قرآنية.

وقد يوهم قول تنوير أن الثعالبى كان يعد هذه الآيات من أنواع المثل القرآنى. والواقع أن الثعالبى لم يتعرض لتعداد أنواع المثل القرآنى، وكل

الذى فعله أنه أورد ما يتمثل به من قصص الأنبياء والأسباب والدواعى والظروف التى يكون فيها التمثيل.

ومن الواضح أنه ليس فى هذا الذى ذكره الثعالبى ما يشير - من قريب أو بعيدا - إلى أنه أو غيره كان يعد هذا الذى أورده أمثالا قرآنية ومن الواضح أن ذلك لم يكن من همه. وقد أورد - على أثر ذلك - ما يتمثل به الناس من أحوال المصطفى عليه الصلاة والسلام. فهو إذن إنما أراد أن يجمع ما تمثلت به الناس لا أكثر(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن القدماء كانوا أكثر تحفظا فى الإشارة إلى هذه الأمثال من المحدثين. فإذا كان القدماء قد عدوها مما يتمثل به الناس. فقد ذهب بعض المحدثين إلى عدها نوعا من أنواع المثل فى القرآن(٥).

ولقد اضطرب نور الحق تنوير نفسه، فعدها نوعا من الأنواع الأربعة من أمثال القرآن، ثم تراجع مكتفيا بالقول بوثوق صلتها بالأمثال القرآنية. ولايخفى أن الأمثال القرآنية شىء، والأمثال الوثيقة الصلة بالأمثال القرآنية شىء آخر. ولهذا نستطيع أن نقرر: إن هذا الذى أشار إليه نور الحق تنوير ليس من أمثال القرآن فى شىء، وإن استوحته الناس منه(٦).

ثم عبر عن رأيه الخاص فقال: لا ننكر أنهم قد استوحوا أمثالهم تلك من قصص القرآن - كما رأى نور الحق - إلا أن الذى ننكره أن تعد أمثالهم هذه أمثالا قرآنية(٧).

ومن الواضح أن هذه الأمثال لم يصرح القرآن بمثليتها، ولم ترد مشابهة للأمثال التى نص على مثليتها. ومن هنا فهى ليست أمثالا

قرآنية بالمفهوم القرآنى للمثل. فليس لدينا ما يمكن أن نؤيد به عد القرآن لهذه الآيات أمثالا. وإذا كان القرآن لايعدها أمثالا فليس لنا أن نقول: إنها أمثال قرآنية، وإن تمثلت الناس بها، إذ إن تمثل الناس بها لايسوغ وضعها مع الأمثال التى نص القرآن على مثليتها.

وكل ما يمكن أن نفيده من تمثل الناس بها، أو الإشارة إلى تمثلهم بها، أن تكون هذه الآيات وفقا لمفهوم الناس الذين تمثلوا لا أكثر، فهى - بهذا - يمكن أن تكون من الأمثال العفوية (غير المقصودة) التى لم يقصد منها القائل أن تكون مثلا[8].

وواضح أن الخلاف فى عد هذا النوع أمثالا قرآنية خلاف يعود إلى التعبير اللغوى من ناحية، وإلى صورة المثل من ناحية أخرى.

فقد اتفق جميع المتكلمين على صلاحية عبارة الأمثال المستوحاة من القرآن. وأعتقد أن الخلاف يزول أو تضيق شقته لو قلنا «الأمثال فى القرآن».

أما صورة المثل فجديرة بوقفة أطول فإننى لا أتفق مع د. الفياض فى وجود أمثال مقصودة وأخرى غير مقصودة. وما أظن أن أحدا من أصحاب الأمثال - إن كنا نعرفهم - قصد أن يكون ما قال مثلا، ولا سعى إلى ذلك، ولا عرف أنه سيسير بين الناس. وإنما وجد الناس فى هذا القول - بعد قوله بمدة تطول وتقصر - وجدوا فيه مزايا معينة، فسيروه مثلا.

وعنى د. الفياض بالإحصاءات، فأورد عدة قوائم على النحو التالى:

١ - قائمة بالآيات التى ورد فيها لفظ (مثل) وفق ترتيب سورها فى المصحف، وضمت ١٩ آية[9].

٢ ـ قائمة بالآيات التى أشارت إلى أمثال الله، من غير أن تدخل فى بنية المثل وتركيبه، وضمت ١٧ آية[١٠].

٣ ـ قائمة بالأمثال الظاهرة، مرتبة وفق ترتيب سورها فى المصحف، وضمت ٤٤ مثلا[١١].

٤ ـ قائمة بالأمثال الظاهرة المكية (١١ مثلا) فالمدينة (٢٠ مثلا) مرتبة بحسب تسلسل نزولها[١٢].

٥ ـ قائمة بطائفة من الأمثال التى لا ذكر للفظ المثل فيها بحسب ترتيب سورها فى المصحف، وضمت ١١ مثلا[١٣].

٦ ـ قائمة بالآيات القرآنية التى أشارت إلى ضرب الناس للأمثال بحسب ترتيبها فى المصحف، ضمت ٨ آيات[١٤].

٧ ـ قائمة ببعض ما عده القرآن أمثالا من أقوال المشركين، ضمت ٥ أمثال[١٥].

هوامش

(١) مباحث ٢٩٦ . وأتى به دون نسبة: أمين ٢٣٤ . شحاتة ٢٥٧ . العمرى ١٦٤ . المدخل ١/٤٩٧ . أبو إسماعيل ١٢٥ . إسماعيل ٣٤٥ . نيازى ١٨٤ . وأنظر المقدسى ٦٠ . لاشين ٢٣٩ . القاضى ٨٣.

(٢) سورتا الروم ٥٨ . الزمر ٢٧ .

(٣) مجموع ١٤/٦٣ ـ ٤ .

(٤) الأمثال ٢٥٠ ـ ١ .

(٥) الأمثال ٢٦٢ ـ ٣ .

(٦) الأمثال ٢٥١ .

(٧) الأمثال ٢٥١ .

(٨) الأمثال ٢٦٤ .

(٩) الأمثال ١٦٤ ـ ٧٥ .

(١٠) نفسه ١٧٦ ـ ٨ .

(١١) نفسه ١٧٩ ـ ٩٠ .

(١٢) نفسه ١٩٤ ـ ٢٠٦ .

(١٣) نفسه ٢٠٧ ـ ٩ .

(١٤) نفسه ٢١٦ .

(١٥) نفسه ٢١٧ ـ ٨ .

أمثال لقمان

جعلها د. عبد المجيد عابدين قسما قائما برأسه[١] وذكر أنها أمثال وردت فى سورة لقمان، حكاها القرآن عن هذا الحكيم. وهى أمثال موجزة، لفتت أنظار الباحثين المحدثين، فبحثوها، وبحثوا شخصية لقمان، وربطوا بينها وبين بعض حكماء الشرق الأدنى القديم. ثم جعل همه الأول الحديث عن هذه الشخصية.

ولكن نور الحق تنوير أدخلها فى قسم الأمثال الموجزة السائرة[٢].

وعاب د. محمد جابر الفياض د. عابدين بأنه شغل بالحديث عن شخصية لقمان، ولم يتحدث عن الأقوال التى نسبها القرآن إلى الحكيم، ولم يوضح طبيعتها: أكانت أمثالا قرآنية، أى بالمفهوم القرآنى للمثل، أم لم تكن كذلك، مع أنه كان يتحدث عن أنواع المثل فى القرآن لا عن شىء آخر[٣].

وعاب عد هذه الأقوال أمثالا قائلا: لا ندرى كيف يمكن أن نعد هذه العظات والوصايات - التى نسبها القرآن إلى لقمان - نوعا من أنواع الأمثال القرآنية التى تولى الله ضربها للناس، فى حين ليس هناك دليل يؤيد أنها منها، من قريب أو بعيد.

وهناك جملة أسباب توضح - بشكل قاطع - أنها ليست من أمثال القرآن. منها.

١ - أن القرآن لم يصرح بمثليتها، وليست مشابهة لأى مما نص القرآن على مثليته.

٢ - صرح القرآن بأنها عظات وإرشادات أب لابنه، على سبيل الوصية والتوجيه.

فقال: «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه»[٤] وإذا كانت بعض العظات والوصايا قد تضمنت - أو يمكن أن تتضمن - بعض الأمثال، فإن ذلك لا يعنى أن كل الوصايا و العظات أمثال مضروبة.

٣ - لم يسبق لأحد من علماء المسلمين - قبل د. عبد المجيد عابدين - أن قال بمثليتها . ولو كانت كذلك لما أغفل الإشارة إليها كل أولئك العلماء الذين عنوا بأمثال القرآن.

٤ - إذا ما افترضنا صحة كونها أمثالا، فإنها ليست من أمثال القرآن التى تولى الله ضربها للناس.

٥ - من الجدير بالملاحظة أن د. عبدالمجيد عابدين رفض ما أشار إليه العلماء من الأمثال الكامنة، لافتقادها - على حد قوله - للدليل النصى والتاريخى. وهذه الأقوال - كما لا يخفى - أكثر افتقارا إليها[٥].

الهوامش

(١) الأمثال ١٣٧ . الفياض ٢٤٧ . صميدة ٢٩ .
(٢) الفياض ٢٤٨ .
(٣) الأمثال ٢٤٧ ـ ٨ .
(٤) سورة لقمان ١٣ .
(٥) الأمثال ٢٤٨ ـ ٩ .

التقسيم الثانى

ذكر الفياض أن ابن خلاد أعلن أن أمثال القرآن طويلة، إذا ما قيست بأمثال الجاهلية[١].

وأعلن الحسن بن رشيق القيروانى أن فى أمثال القرآن القصار مثل قوله: «كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت»[٢] والطوال مثل قوله: «ضرب الله مثلا..»[٣].

وعلق الفياض على القولين: الواقع أن كليهما مصيب فيما ذهب إليه، فالطول والقصر أمر نسبى. فالأمثال التى عدها ابن رشيق طويلة يمكن أن تعد قصيرة إذا قيست بغيرها من أمثال القرآن ذاته، فالأمثال القرآنية تتفاوت فى أطوالها ، وتقسيمها إلى قسمين، مع تعدد أطوالها غير دقيق، وليس له ما يبرره[٤].

هوامش

(١) الأمثال ٩٥ ـ ٦، ٢٤٠ .

(٢) سورة العنكبوت ٤١ .

(٣) سورة التحريم ١٠، ١١ . العمدة ١ /٢٨١ . وانظر عابدين ١٣٦ .

(٤) الأمثال ٢٤٠ ـ ١ .

التقسيم الثالث

نجد فى كتاب «التمثيل والمحاضرة» لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى تقسيما للأمثال القرآنية إلى فئتين:

الفئة الأولى: تشبه أمثالا للعرب، مثل قول من يعير غيره بما هو فيه: (عيَّر بُجير بُجره، نسى بجير خبره) وفى القرآن (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه)(١).

الفئة الثانية: تشبه أمثالا للعجم والعامة، مثل قول العجم (من أحرق كُدْسه تمنى إحراق كدس غيره) وفى القرآن (ودوا لو تكفرون كما كفروا، فتكونون سواء)(٢).

ولاحظ د. الفياض أن الثعالبى لم يلتزم فى الفئة الثانية بأمثال العجم والعامة وأورد أمثالا ليست بأعجمية ولا عامية، كقول المتنبى: مصائب قوم عند قوم فوائد. وأقوال لشعراء آخرين من العرب(٣).

«التقسيم الرابع»

والمثل - عند عبد القاهر الجرجانى - التمثيل بنوعيه:

- ما جاء بركنيه.

- وما جاء على سبيل الاستعارة، كقولك للرجل يتردد فى الشىء بين فعله وتركه: أدراك تقدم رجلا وتؤخر الأخرى[٤].

هوامش

(١) سورة يس ٧٨.

(٢) سورة النساء ٨٩. التمثيل ١٥ ـ ٩. الفياض ٩، ٢٣١ ـ ٢٦٢،٢.

(٣) الأمثال ٢٣٢.

(٤) الفياض. ٣.

التقسيم الخامس

ذكر الزركشي أن أبا عبد الله البكرا باذى قسم الأمثال القرآنية إلى أربعة أوجه:

أحدها: إخراج ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع عليه.

وثانيها: إخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة.

وثالثها: إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة.

ورابعها: إخراج مالا قوة له من الصفة إلى ما له قوة[1].

---

(١) البرهان ١/٤٨٦ . لاشين ٢٤١ . العبدلي ٦٨ .

التقسيم السادس

صرح ابن تيمية: ضرب الأمثال - فى المعانى - نوعان، هما نوعا القياس.

أحدهما: الأمثال المعينة، التى يقاس فيها الفرع بأصل معين، موجود أو مقدر.

وهى فى القرآن بضع وأربعون مثلا، كقوله: (مثلهم كمثل الذى (استوقد نارا..)[1] فإن التمثيل بين الموصوفين الذين يذكرهم من المنافقين.. وبين ما يذكره سبحانه من تلك الأمثال هو من جنس قياس التمثيل، الذى يقال فيه: مثل الهرة تقع فى الزيت كمثل الفارة تقع فى السمن، ونحو ذلك. مبناه على الجمع بينهما، والفرق فى الصفات المعتبرة فى الحكم المقصود إثباته أو نفيه.

وبعض المواضع، يذكر - سبحانه - الأصل المعتبر به، ليستفاد حكم الفرع منه من غير تصريح بذكر الفرع كقوله: (أيود أحدكم أن تكون له

جنة من نخيل وأعناب، تجرى من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات، وأصابه الكبر، إلى قوله: «كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون»[٢] فإن هذا يحتاج إلى تفكر، ولهذا سأل عمر عنها من حضره من الصحابة، فأجابه ابن عباس بالجواب الذى أرضاه.

ونظير ذلك ذكر القصص، فإنها كلها أمثال هى أصول قياس واعتبار.ولا يمكن هناك تعديد ما يعتبر بها، لأن كل إنسان له فى حالة منها نصيب، والاعتبار هو القياس بعينه.

النوع الثانى: الأمثال الكلية، وهذه التى أشكل تسميتها أمثالا كما أشكل تسميتها قياسا، حتى اعترض بعضهم قوله: «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له»[٣] فقال: أين المثل المضروب. وكذلك إذا سمعوا قوله: «ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل»[٤] يبقون حيارى لا يدرون ما هذه الأمثال[٥].

هوامش

(١) سورة البقرة ١٧ .
(٢) سورة البقرة ٢٦٦ .
(٣) سورة الحج ٧٣.
(٤) سورتا الروم ٥٨ . الزمر ٢٧ .
(٥) مجموع ٤/ ٥٦-٨.

التقسيم السابع

وأعطانا ابن تيمية تقسيما آخر، قال فيه: هذه الأمثال:

تارة تكون صفات.

وتارة تكون أقيسة

فإذا كانت أقيسة، فلابد من خبرين هما قضيتان وحكمان. ولابد أن يكون أحدهما كليا، لأن الأخبار - التى هى القضايا - لما انقسمت إلى معينة ومطلقة، وكلية وجزئية، وكل من ذلك انقسم إلى خبر عن إثبات، وخبر عن نفى، فضرب المثل - الذى هو القياس - لابد أن يشتمل على خبر عام، وقضية كلية.: وذلك هو المثل الثابت فى العقل، الذى تقاس به الأعيان المقصود حكمها. فلولا عمومه لما أمكن الاعتبار، لجواز أن يكون المقصود حكمه خارجا عن العموم.(١)

---

(١) مجموع ١٤/ ٥٨-٩.

التقسيم الثامن

وقام به الزركشى الذى قال: لما كان المثل فيه غرابة استعير لفظ المثل للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة.

أما استعارته للحال فكقوله: «مثلهم مثل الذى استوقد نارا»[1] أى حالهم العجيب الشأن كحال الذى استوقد نارا.

وأما استعارته للوصف فكقوله: «ولله المثل الأعلى»[2] أى الوصف الذى له شأن، وكقوله: «مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل»[3].

وأما استعارته للقصة فكقوله: «مثل الجنة التى وعد المتقون»[4] أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ فى بيان عجائبها.

وتصور الزركشى معترضا يذكر له إن فى هذه الثلاثة تداخلا، فإن حال الشيء هى وصفه، ووصفه هو حاله، ورد عليه بقوله: الوصف

يشعر ذكره بالأمور الثابتة الذاتية أو ما قاربها من جهة اللزوم للشيء وعدم الانفكاك عنه، وأما الحال فيطلق على ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتي له ولا لازم، فتغايرا وإن أطلق أحدهما على الآخر فليس ذلك إطلاقا حقيقيا[٥] .

هوامش

(١) سورة البقرة ١٧.
(٢) سورة النحل ٦٠.
(٣) سورة الفتح ٢٩.
(٤) سورة الرعد ٣٥.
(٥) البرهان ١/٤٨٨ـ٩.

التقسيم التاسع

وذهب شهاب الدين الآلوسى إلى أن الأمثال نوعان:

١ ـ فيستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة بأخرى مثلها، كما فى قوله تعالى: «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح..»[١].

٢ ـ وأخرى فى ذكر حالة غريبة وبيانها للناس، من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها، كما فى قوله: «وضربنا لكم الأمثال»[٢].

واعترض د. الفياض على هذا القول وجعله موضع نظر، وقال: ليس معنى هذا أننا ننكر وجود الأمثال القائمة على التشبيه والتمثيل، كما ليس معناه أننا ننكر وجود الأمثال القصصية فى القرآن، فهذا ما لا سبيل إلى الشك فيه، ولكن الذى نتردد فى قبوله قولهم: إن لفظ المثل استعير لأحوال وصفات وقصص غير مقرونة بما يناظرها، مع أن هذه جميعا إنما ذكرت فى القرآن للاعتبار. وذلك بقياس حال بحال، وصفة

بصفة، وقصة بقصة، فإن لم يكن التمثيل صريحا، فهو تشبيه ضمني[3].

هوامش

(١) سورة التحريم ١٠.
(٢) سورة إبراهيم ٤٥. روح ٢٢/ ٢٢٠. الفياض ٢٤٤,٦٧.
(٣) الأمثال ٢٤٦ ـ ٧.

التقسيم العاشر

وتناول د. عبدالمجيد عابدين المثل فى التراث السامى، فوجده - فى الاصطلاح السامى القديم - يحمل مدلولا واسعا. ثم أورد الأشكال التى عدها الساميون القدماء مندرجة فى مدلول المثل على النحو الآتى:

١ ـ أحلام النيام وتهيؤات الكهان وتنبؤات الأنبياء

٢ ـ الأمثال القياسية.

٣ ـ الخرافات.

٤ ـ الأناشيد والترانيم والملاحم.

٥ ـ الأمثال الشعبية.

٦ ـ الأمثال الكتابية[١].

ويهمنا من هذه الأمثال الكتابية، التى عرفها بأنها العبارة الموجزة الأدبية، التى تتميز بأنها تدل على عقل واع وتأمل بعيد، وصنعة ظاهرة فى تنميق العبارة وتنسيقها، مثل قول العرب: «رب عجلة تهب ريثا ورب فروقة يدعى ليثا، ورب غيثا لم يكن غيثا»، لاتصالها بالقرآن.

وذكر أنها لايشترط فيها أن تكون معبرة عن نفسية طبقات الشعب وذوق الجمهور، بل هى مبادئ وأقوال يقررها أفراد من الصفوة المثقفة كالحكماء ورجال الدين، وتصدر عن روية وتفكير وإتقان، وتقترن - فى تاريخها الطويل - بالكتابة والحكمة والتعليم الدينى(٢).

ولم يكتف د. عابدين بهذا، بل عقد لهذه الأمثال فصولا تناول فيها أهم ما يميزها، تحدث فيها عن نغمتها التأديبية، التى تتجلى فى الحكمة التى وجهها الله إلى عباده، وذكر أن الوحدة الأدبية لتلك الأمثال هى الجملة، ولذلك صيغت مستقلة بمعناها. ومن ثم كانت الفكرة المعبر عنها فى الجملة الواحدة كاملة ونهائية. مثال ذلك قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت»(٣).

هوامش

(١) الأمثال ١٠ - ٤.
(٢) الأمثال ١٤.
(٣) سور آل عمران ١٨٥. الأنبياء ٣٥. العنكبوت ٥٧. الأمثال ١٢٦ - ٥٧.

التقسيمات من الحادى عشر
إلى الرابع عشر

وأتى عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى بعدة تقسيمات:

(١)

نظر فى الأول منها إلى كون الممثل به والممثل له مما يدرك بالحس أولا يدرك به، فوجد التقسيم العقلى يقدم خمسة أقسام:

الأول: تمثيل مدرك بالحس الظاهر بمدرك بالحس الظاهر، كتمثيل الصحابة وتكاثرهم بزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه.

الثانى: تمثيل مدرك فكرى أو وجدانى بمدرك فكرى أو وجدانى، كقوله تعالى: «ألم تر إلى الذين قيل لهم: كفوا أيديكم، وأقيموا الصلاة،

وآتوا الزكاة، فلما كتب عليهم القتال، إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية»[1].

الثالث: تمثيل مدرك فكرى أو وجدانى بمدرك بالحس الظاهر، كتمثيل العلم بالنور، والإيمان بالبصر.

الرابع: تمثيل مدرك بالحس الظاهر بمدرك فكرى أو وجدانى كوصف جهنم بقوله: «تكاد تميز من الغيظ..»[2].

الخامس: الصورة التمثيلية المختلطة، التى تمتزج فيها الأشياء المدركة بالحس الظاهر بالمدركات الفكرية أو الوجدانية، كقوله: «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر فى الأموال **والأولاد، كمثل** غيث أعجب الكفار نباته ثم تهيج فتراه مصفرا ثم يكون **حطاما. وفى** الآخرة عذاب شديد، ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة **الدنيا إلا متاع** الغرور»[3].

(٢)

ونظر فى الثانى إلى انتزاع الصورة الممثل بها من الواقع أو الخيال، **فوجد ما يلى:**

١ ـ الصورة التمثيلية المنتزعة من الواقع، كتمثيل الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، بزارع يزرع بذوره فى تراب، رقيق مبسوط على صخرة صماء ملساء، إذا نزل عليها غيث السماء سفح التراب والذذور معه، وجرفها السيل، فترك مزرعته حجرا صلبا أملس لا شىء عليه، فهو لا يطمع بنبات ولا ينتظر حصادا.

٢ ـ الصورة التمثيلية المنتزعة من الخيال، كتمثيل طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين(٤).

(٣)

ونظر فى الثالث إلى ما تحتوى عليه الأمثال من تمثيل، هل هو بسيط أو مركب، فوجدها كما يلى:

١ ـ الصور ذات التشبيه البسيط، أى المشتملة على تمثيل مفرد بمفرد.

٢ ـ الصور ذات التشبيه المركب.

والتشبية المركب إما أن يكون على شكل عناصر مفردة متلاقية، تقابل أمثالها فى الممثل له.

وإما أن يكون على شكل وحدة مركبة متداخلة، تعطى بجملتها وجه الشبه، دون ملاحظة التقابل الجزئى بين مفردات المثل ومفردات ما ضرب له(٥).

ويختلف بعض العلماء ـ بحق ـ مع حبنكة فى النوع الأول من التشبيه المركب، ويسمونه التشبيه المتعدد.

(٤)

ونظر فى الرابع إلى المراد من المثل، وجعله إلى:

١ ـ ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع.

٢ ـ ذكر نموذج أو أكثر لعمل من الأعمال.

٣ ـ ذكر نموذج أو أكثر لسنة من سنن الله(٦).

هوامش

(١) سورة النساء ٧٧.
(٢) سورة الملك ٨.
(٣) سورة الحديد ٢٠. أمثال ٤٧ - ٥٠.
(٤) أمثال ٥١ - ٤.
(٥) أمثال ١٩ - ٢٠، ٢٢ - ٣، ٤٥. وأتى به غير منسوب نيازى ١٨٨.
(٦) الأمثال ١١.

التقسيم الخامس عشر

وأعطانا د. الفياض تقسيما آخر فى قوله: الأمثال القرآنية كلها جاءت على نوعين:

أحدهما: أمثال التشبيه والتمثيل والمقارنة والموازنة.

وثانيهما: تاريخية وتمثيلية.

وقال عن أمثال النوع الأول: حظيت هذه الأمثال باهتمام الباحثين وعنايتهم، وليس بينهم من لم يشر إليها أو يتحدث عنها. فمنهم من أطلق عليها اسم أمثال التمثيل، ومنهم من أدخلها فى الأمثال القياسية، ومنهم من أدخلها فى الأمثال الظاهرة. وهكذا كثر الحديث عنها بأسماء وعناوين متباينة.

وأمثال هذا النوع أكثر ما صرح القرآن بمثليته، وجاءت صورا مجازية متفاوتة فى أطوالها، وفقا لما تقتضيه الصورة المجازية، والفكرة التى عبر ا لقرآن عنها بتلك الصورة.

والمثل فى القرآن - وإن جمع بين جمال الصورة وعمق الفكرة، وعلى بهما معا - فمن الواضح أنه كان يعبر عن الفكرة التى أراد التعبير عنها. ومن هنا فإن أمثال هذا النوع لا تقتصر على التشبية التمثيلى أو التمثيل المركب، كما بدا لكثير من الباحثين فى أمثال القرآن، وإنما قد ترد تشبيها بسيطا إذا ما وفى هذا التشبيه بالغرض. من ذلك قوله: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم»[1].

والغريب أن كثيرا من الذين أوردوا هذا المثل كانوا قد قصروا أمثال هذا النوع على التمثيل المركب. والمثل واضح الدلالة على بطلان هذا الرأى، إذ لا يمكن عده تمثيلا مركبا بحال من الأحوال، مع أنه من أمثال القياس.

هذا ومن أمثال هذا النوع ما جاء مقارنة وموازنة كقوله فى الكافرين والمؤمنين: «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع: هل يستويان مثلا؟ أفلا تذكرون؟»[2].

ومن هذا يظهر - بجلاء - أن أمثال هذا النوع لاتقف عند حدود التشبيه التمثيلى، وإنما تتجاوزه إلى مطلق التشبيه والمقارنة والموازنة، للتعبير عن الفكرة التى عالجها المثل وأبرزها برهانا ساطعا، وحجة دامغة[3].

ولما كان النوع الثانى يحتوى على القصص، فإن تناوله سيكون - إن شاء الله - فى كتاب القصة.

هوامش

(١) سورة آل عمران ٥٩.
(٢) سورة هود ٢٤.
(٣) الأمثال ٢٥٣ ـ ٤.

١١ - من ضربت لهم

كشف القرآن عمن ضرب لهم الأمثال فجاء فى أكثر من آية أنهم الناس(١).

وفسر الحكيم الترمذى ذلك بأن العباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال - لما غابوا عن الأشياء، فخفيت عليهم - ليدركوا ما غاب عنهم(٢).

ولكن الآية ٤٣ من سورة العنكبوت خصت العلماء بالفهم الصحيح الشامل لها، فقالت: «وما يعقلها إلا العالمون» فنبه إليها ابن القيم(٣).

واهتدى ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم الجزرى المعروف بابن الحنبلى بالقرآن، فذكر أن الأمثال مضروبة للعقلاء(٤).

وذهب عبدالرحمن حسن حبنكة إلى أن الأمثال التى ترمى إلى شحذ ذهن المخاطب بها مخاطب بها الأذكياء وأهل التأمل والنظر والبحث العلمى وكبراء القوم(٥).

الهوامش

(١) سور الإسراء ٨٩. الكهف ٥٤ . الروم ٥٨، الزمر ٢٧ ، محمد ٣، إبراهيم ٢٥ . العنكبوت ٤٣ الحشر ٢١ .

(٢) الأمثال ١ ,٢ القياض ٢٤٢ . ٢٥٤ .

(٣) الأمثال ١٧ ,٥٦ . إعلام ١/ ١٥٠ . العبدلى ٦٧ . الزين ٣٢، ٣٨. الفياض ٨.

(٤) ٤٥.

(٥) أمثال ٦٠، ١٠٤.

١٢ - بلاغتها وإعجازها(*)

كان الثعالبى أول مصادرى حديثا عن جمال الأمثال القرآنية إذ صرح فى عنوان الفصل الذى عقده لها فى كتاب «التمثيل والمحاضرة» بأنها أحسن وأبلغ من نظرائها من أمثال العرب[١]. ولم يقف عند هذا، بل تجاوزه - فى عنوان الفصل الذى عقده لها فى كتاب «الإعجاز والإنجاز» وصرح بأن ما أورده فيه من أمثال قرآنية جمع بين الإعجاز والإيجاز[٢].

وذهب ابن رشيق القيروانى إلى أن ما كان من الأمثال فى القرآن فقد ضمن الإعجاز[٣].

ووصفها ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» بأنها معلنة ببلاغة لفظ القرآن ونظمه وبراعة بيانه اللفظى[٤]، وفى «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن» بأنها من عناصر إعجاز القرآن[٥].

---

* انظر فصلى منزلتها وخصائصها.

وعد السيوطى ضرب الأمثال - ظاهرة ومضمرة - الوجه الحادى والثلاثين من وجوه إعجاز القرآن(٦).

وذهب محمد الخضر حسين إلى أن من بديع أسلوب القرآن فى ضرب المثل أن يسوق الجمل مستعملا لها فى معانيها الحقيقية، قاصدا بها غرضا خاصا. وبعد أن يفيد بها هذا الغرض، يعود إلى جعلها مثلا يرمى إلى غرض من الأغراض التى تضرب لها الأمثال(٧).

وذكر محمد الغزالى أن هبة الدين الحسينى - من علماء الشيعة - وصفها بالحسنى، وعدها من أسرار الإعجاز فى القرآن(٨).

وصرح مناع القطان: كم من معنى جميل، أكسبه التمثيل روعة وجمالا، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به. وهو من أساليب القرآن فى ضروب بيانه ونواحى إعجازه(٩).

ورأى منير القاضى أن هذا الضرب من الكلام من أبلغ صور التشبيه المركب، وأدق ما يرمى إليه البليغ من الوسائل التى تبرز المعانى الخفية المضمرة، سافرة الوجه، واضحة المعالم، جميلة المنظر.

وعرض البوطى نماذج مختلفة من الأمثال، ذكر فى مستهلها أنه يفعل ذلك لنتلمس - من خلالها - القيمة البلاغية التى فيها، وسمة الإعجاز التى تتميز بها، ونتنبه إلى أن جانبا كبيرا من الإعجاز القرآنى إنما يطل من هذه الأمثال، من ناحية كل من أسلوبها ومضمونها(١٠).

وقال د. أحمد جمال العمرى: جاءت الأمثال فى القرآن آية من آيات بيانه وإعجازه، التى لاتعد ولا تحصى، آية تشهد بعظمة الحق سبحانه وتعالى(١١).

ووصفها العمرانى بأنها رائعة فى بلاغتها سلسة فى فصاحتها، شيقة فى تعابيرها(١٢).

وعلل سميح عاطف الزين عظمة الأمثال فى القرآن بأنك تقرؤها فى المكان الذى وضعت فيه، فتراها تشع بالحقائق المحسوسة، ولكن فى بيان معجز وترتيب عجيب.

ولا يحسبن أحد أن هذا المثل يقتصر على مفهوم واحد من حيث التشخيص والتصوير والتمثيل. بل تندرج تحته مفاهيم لا تحصى، أى أن أمثال القرآن بمثابة قواعد تتفرع عنها أفكار عديدة تتناول حقائق كثيرة(١٣).

وصرح الفياض: الواقع أن الذى يتأمل الأمثال القرآنية يجد نفسه فى معرض ضم أروع اللوحات الفنية. أينما وقع نظره يجد منظرا أخاذا يأسره ويشده إليه، فيقف مبهوتا محسورا بجمال كل ما وقعت عليه عيناه(١٤).

وختم بقوله بعد تحليل بعض النماذج: وهكذا نجد أن كل الصور فى أمثال القرآن التمثيلية بلغت الغاية فى براعة التصوير ودقه التعبير(١٥).

ووصفها د. محمد بكر إسماعيل بأنها جمعت الخصائص الفنية والسمات البلاغية الكثيرة. فكانت فى الذروة العليا من البلاغة والتأثير فى القلوب والعقول(١٦). واستوفت الخصائص العامة إلى حد الإعجاز فهى قواعد كلية تجتمع تحتها كل القوانين الأخلاقية والقيم الإنسانية. لذا كانت خالدة على مر الزمان، صالحة لكل عصر، ومكان، مقبولة عند الخاصة والعامة، مستساغة لدى الطباع المستقيمة، والعقول

السليمة. لها جلال تشعر بوقعه القلوب المؤمنة، وجمال يستشفه الأذواق المعتدلة. ويجد فيها أصحاب الحس المرهف كمالا فى رسم صور المعانى المرادة، لا يجدونه فى غيرها(١٧).

وأكثر أمثال القرآن نجد وجه الشبه فيها منتزعا من هيئة مركبة، فيها الصوت واللون والحركة. ويحتاج البليغ فى إدراكه إلى إعمال فكر وإمعان نظر. فإذا استطاع أن يدرك وجه الشبه بين الطرفين نوع إدراك ملك عليه التمثيل مشاعره وبهره ما فيه من جمال التعبير، ودقة التصوير، وروعة البيان(١٨).

ولا يجيء المثل فى عزلة عن الآيات السابقة له واللاحقة به، وإنما يأتى مفسرا لما قبله، ممهدا لما بعده، مصحوبا بالحكم على من أطاع ومن عصى، اقرأ قوله: «مثلهم كمثل الذى استوقد نارا..» ثم اقرأ الآيات قبلها وبعدها، تجد أربعة أمور متلاحقة تسير إلى جنب، لاتكاد تفارق أى مثل من أمثال القرآن:

الأول: يفسر ما قبله من الآيات. فقد ذكر الله أوصاف المنافقين، ثم ساق المثل بيانا لحالهم وشأنهم.

الثانى: تمهيد المثل لما بعده، وهو تكليف الخلق بتوحيد الله وعبادته.

الثالث: الحكم على من ضُرب فيهم المثل. فإن كانوا من الأخيار فلهم الحسنى، وإن كانوا من الأشرار فلهم سوء العقبى.

الرابع: يحمل المثل فى طياته الحجج البالغة على صدق الرسل فيما يبلغون عن ربهم، وذلك من خلال أسلوبه العام.

يضاف إلى ذلك براعته فى تصريف القول، وثروته فى أفانين الكلام. ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة بمقدرة خارقة، تنقطع فى حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء(١٩).

ونجد أحكاما متعددة تصف الأمثال بالبلاغة تارة، وبالإعجاز أخرى، وبما يتشعب عنهما من صفات ثالثة، ترد هذه الأحكام فى تضاعيف تحليل الأمثال الذى شغف به أكثر الكتاب عن الأمثال، سواء من أوجز منهم، ومن أطال فخصص كتابه كله أوجله للتحليل مثل الترمذى وابن القيم وابن الشريف والمعلمى.

الهوامش

(١) ١٥ . وانظر ابن الجوزى ٣ .
(٢) ١٤ . الفياض ٢٦٢ .
(٣) العمدة ١/٢٨١ . الفياض ٩٦ ، ٢٤١ .
(٤) ١٤/٦٤ .
(٥) الحمصى ١١٣ ، ١٣٠ . وانظر القطان ٢٩٠ . شحاتة ٢٤٦ . عسكر ٢٢٠ . نيازى ١٩١ .
(٦) معترك ١/٤٦٤ . شرف الدين ٩١ .
(٧) بلاغة ٣٥ .
(٨) نظرات ١٥٩ .
(٩) مباحث ٢٩٠ . وأتى به غير منسوب شحاتة ٢٤٦ . نيازى ١٧٧ .
(١٠) من روائع ٢١١ ، ٢١٨ .
(١١) مباحث ١٦٥ ، ١٦٨ .
(١٢) هذا ١٩ ، ٢٩ .
(١٣) الأمثال ٤٧ .
(١٤) الأمثال ٤٤٣ .
(١٥) الأمثال ٤٤٩ .
(١٦) دراسات ٣٤٩ .
(١٧) دراسات ٣٥١ .
(١٨) دراسات ٣٤٣ .
(١٩) دراسات ٣٥٣ ـ ٤ .

١٣.تعريفها

نقل الزركشي عن عبدالله بن محمد المعروف بابن سنان الخفاجي أنه قال سمى مثلا لأنه ماثل بخاطر الانسان أبدا،أى شاخص، فيتأسى به ويتعظ، ويخشى ويرجو. والشاخص: المنتصب(١).

وقال الراغب الأصفهاني: أصل المثول الانتصاب. والممثل: المصور على مثال غيره. والمثل: عبارة عن قول فى شىء يشبه قولا فى شىء آخر، بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره(٢).

وقال الزمخشرى: المثل - فى أصل كلامهم - بمعنى المثْل، وهو النظير. يقال: مثَل ومِثْل ومَثيل، كشبَه وشِبْه وشبِيه(٣). ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مَثَلا(٤).

واستعير المثل للحال أو الصفة أوالقصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة(٥).

ونقل الزركشى عن أبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى أنه قال: اتفق المحققوق على أن المثِل عبارة عن شبه المحسوس، والمثَل عبارة عن شبه المعانى المعقولة[٦].

وفرق فخر الدين محمد بن عمر الرازى بينهما بأن المثْل هو الذى يكون مساويا للشىء فى تمام الماهية، والمثل هو الذى يكون مساويا له فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية[٧].

وصرح يوسف بن أبى بكر السكاكى: التشبيه التمثيلى متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة سمى: مثلا[٨].

ونقل الزركشى اعتراضا على تسوية الزمخشرى للصيغ الثلاثة يقول: لو كان المثل والمثل سياناً للزم التنافى بين قوله: (ليس كمثله شىء)[٩] وبين قوله: (ولله المثل الأعلى)[١٠]. فإن الأولى نافية له، والثانية مثبتة له[١١].

واعترض الآلوسى على تعريف الزمخشرى للمثل قائلا: تفسيره بالقول السائر الممثل مضربه بمورده، ترد عليه أمثال القرآن لأن الله ابتدأها، وليس لها مورد من قبل، اللهم إلا أن يقال: إن هذا اصطلاح جديد أو أن الأغلب فى المثل ذلك[١٢].

وأضاف إلى تعريف الزمخشرى التعريفات الآتية: ثم أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن، المشتمل على تشبيه بلاشبيه أو استعارة رائعة تمثيلية وغيرها، أو حكمة وموعظة نافعة، أو كناية بديعة، أو نظم

من جوامع الكلم الموجز. ولا يشترط فيه أن يكون استعارة مركبة، خلافا لمن وهم، بل لا يشترط أن يكون مجازا. وهذه أمثال العرب فيها الكثير مستعملا فى معناه الحقيقى[١٣].

وتوسع محمد الخضر حسين فأعلن أننا إذا أردنا أن نعلم المراد من الأمثال التى ضربها الله للناس فى القرآن وجب علينا نظران:

- أن ننظر أولا فى كلام من تصدوا - فى علوم القرآن - إلى أمثاله، فكتبوا فيها.

- ثم ننظر ثانيا فى بعض معانى الآيات التى استعمل فيها القرآن كلمة المثل، لعلنا نعرف بها ماذا يراد من المثل فى استعمال القرآن[١٤].

وأخذ فى النظر الأول. فاستعرض نصوصا للماوردى وابن القيم والسيوطى، فوجد أنهم أطلقوا اللفظ على: تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة [١٥] أم بطريق التشبيه الصريح كقوله ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾[١٦] أم بطريق التشبيه الضمنى أو المكنى عنه كقوله: (ولا يغتب بعضكم بعضا. أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)[١٧] أم لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة، كقوله: (يأيها الناس: ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه. ضعف الطالب والمطلوب[١٨] فقوله: (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا...) قد سماه الله مثلا ، وليس فيه استعارة ولا تشبيه[١٩].

ووجد أنه:

لا يستقيم حمل أمثال القرآن على أصل المعنى اللغوى.

ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند من ألفوا فى الأمثال عامة، إذ إنها ليست أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها.

ولايستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، إذ إن المثل عندهم ما استعمل على وجه الاستعارة، وفشا استعماله، ومن أمثال القرآن ما ليس باستعارة ثم هى أمثال من وقت نزولها، فلم يتحقق فيها - إذ ذاك - فشو الاستعمال[٢٠].

ثم أخذ محمد الخضر فى النظر الثانى - أى فى استعمال القرآن لكلمة المثل - فوجده استعملها فى:

تشبيه حال قوم بحال آخرين كقوله: (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا)

تشبيه حال شىء بحال شىء آخر كقوله: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درى..)[٢١].

وصف أو قصة تقع فى نفس المخاطب موقع الغرابة، دون أن يكون فيه تشبيه أو استعارة، كما فى سورة الحج.

تمثيل حالة غريبة بأخرى مثلها.

ذكر حالة غريبة تقصد لنفسها، ولايراد تمثيلها بنظيرة لها.

وخلص إلى القول بأن أمثال القرآن هى ما يضربه الله للناس من أقوال تتضمن مافيه غرابة من تشبيه أو استعارة أو قصة. ويدخل فى هذا كل ما سماه القرآن مثلا[٢٢].

أما المثل - بصورة عامة - فإنه أعلن أن له معانى أربعه: ذكر الزمخشرى ثلاثة، وأضاف علماء البيان المعنى الرابع، وهو المجاز المركب الذى تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله(٢٣).

وأفاض د. عبد المجيد عابدين فى دلالات كلمة المثل، ولكن فى اللغات السامية والتراث السامى بخاصة (٢٤).

وذكر منير القاضى أن المثل - فى مصطلح الأدب - استعارة تمثيلية مبنية على التشبيه المركب، أى تشبيه الصورة المنتزعة من حالة المشبه بالصورة المنتزعة من الحالة التى كان عليها المشبه به (٢٥).

ولكن المثل فى القرآن ليس من قبيل المثل المصطلح عليه عند الأدباء أو بما يساويه معنى أو بما يعادله لفظا ومعنى، ولاهو على غراره - بل هو نوع آخر، أسماه القرآن مثلا من قبل أ ن تعرف علوم الأدب المثل، ومن قبل أن تسمى به نوعا من الكلام المنثور وتضعه مصطلحا له. بل من قبل أن تعرف الأدباء المثل بتعريفهم.

فالمثل - فى عرف القرآن - هو الكلام الذى يقصد به تصوير حالة، أو واقعة، أو شخص، لاتعاظ القارئين والسامعين بالصورة التى صورها لهم، أو لا يناسهم بها، سواء أطال الكلام أم قصر، وأشاع وفشا أم بقى فى لوحته اللامعة مكتوبا محفوظا(٢٦).

وأضاف مناع القطان إلى تعريفات المثل التى استخلصها محمد الخضر من نصوص المؤلفين: الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز، والتى يصح استعمالها فيما وردت فيه (٢٧).

وعقب على تعريف بعضهم للمثل بإبراز المعنى فى صورة حسية تكسبه روعة وجمالا، بأن المثل - بهذا المعنى - لايشترط أن يكون له مورد، ولا أن يكون مجازا مركبا[٢٨].

وعد البوطى ضرب المثل - فى غضون الكلام - لونا متميزا من ألوان التشبيه، وأحيانا لونا خاصا من ألوان الاستعارة.

فإن كان الممثل له مذكورا فى الكلام كان تشبيها، وإن كان محذوفا فهو استعارة [٢٩].

وصرح بأنه ربما ضرب المثل بقصة واقعة. وفى القرآن من ذلك كثير وإنما تسمى القصة عندئذ تمثيلا، لأنها سيقت مساق التمثيل بها، ولم تورد على أساس الإخبار عنها [٣٠].

وأعلن د. السيد أحمد خليل أن التمثيل قد يكون فى جزئية من جزئيات الفكرة، وقد يكون فى الفكرة كلها [٣١]؛ وأن المعروف أن البلاغيين المتأخرين استطاعوا أن يحددوا الفروق بين صور هذا التمثيل. فعرضوا للتشبيه التمثيلى، وللاستعارة التمثيلية، والتشبيه الضمنى، وكلها صور لفكرة التمثيل [٣٢].

ووازن بين جهود المعتزلة والسنة فى هذا الصدد، فأعلن: إذا كان المعتزلة امتازوا - فى تفسيرهم للقرآن - بأنهم اتبعوا المنهج التمثيلى فى شرح بعض الآيات القرآنية المحتملة لهذا التمثيل، فإنهم استطاعوا - فى تفاسيرهم - أن يكشفوا عن جوانب هذا التمثيل، وكيف يمكن استنباطه من واقع النظم القرآنى. واذا لم يكن قد وصل إلينا تفاسيرهم القديمة

التى تمثل هذا المنزع، وتحدد أهدافه، والدوافع إليه، والغاية منه؛ فإن فى تفسير الزمخشرى مايلقى بعض الضوء على صنيع أسلافه الذين تصدوا لتفسير القرآن (٣٣).

واذا كان المعتزلة انصرفوا إلى التمثيل، وحاولوا أن يجمعوا صوره المختلفة من القرآن، فإن أهل السنة لم يكونوا أقل منهم عناية بهذا التمثيل، وانصرافا إليه، وبخاصة إذا كان هذا التمثيل مرتبطا بأحداث من شأنها أن تؤثر فى الوجدان، وأن تحمله على الاستجابة. أما التمثيل فى أشياء أخرى غير هذه، فإنهم يختلفون معهم فيه، ويرونهم قد بعدوا عن النص. وحجتهم فى ذلك أن الأصل فى النصوص أن تحمل على ظاهرها، مالم يكن هناك صارف عن هذا الظاهر. ولاخلاف بين الفريقين - فيما أرى - بناء على هذه القاعدة الا فى أشياء من أصول الاعتقاد. أما البحث عن الفنية المعجزة فى القرآن، فإنهم لايكادون يختلفون عليها (٣٤).

وذكر د. شعبان محمد إسماعيل أن أكثر الأمثال يجىء على طريقة التشبيه، وقد يجىء التشبيه ضمنا (٣٥).

وذهب عبد الرحمن حسن حبنكة إلى أن المثل يطلق فى القرآن، ويراد منه نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع، أو عمل من الأعمال، أو سنة من سنن الله، نظرا إلى التشابه الموجود بين أفراد النوع الواحد أو نظرا إلى اطراد سنن الله وأعماله الحكيمة.

ثم يأتى القياسى المستند إلى مبدأ شمول الأحكام للمتماثلات الذى تقضى به أصول الحقائق، أو تقضى به حكمة الخالق فى خلقه، وفى

تصاريف عدله، وفى ثبات سننه، فينتج أحكاما عامة تشمل سائر الأفراد المماثلة لما جاء فى المثل [٣٦].

وما جاء فى القرآن من بيان قصص الأولين، وما أجرى الله عليهم من سنن عقاب أو ثواب، فقصصهم أمثال ونماذج يقاس عليها نظائرها، بمقتضى التشابه بين أفراد النوع، وثبات سنن الله المستندة إلى حكمته وعلمه وعدله[٣٧].

وعنى الشريف العبدلى بتتبع معانى كلمة مثل، فأورد أقوالا متعددة للزمخشرى وابن دريد وابن الأثير [٣٨]، ثم ذكر أنها تستعمل - عند من ألف فى الأمثال - فيما يلى:

١- حكم العرب المؤثرة فى القلوب، المستعملة فى معناها الحقيقى. ومن أمثلتها قولهم: (السعيد من اتعظ بغيره)[٣٩].

٢- التشبيه الصريح، ومن أمثلتها قولهم: (كالخمر يشتهى شربها ويخشى صداعها)[٣٩].

٣- الاستعارة، مفردة كانت أو مركبة، تصريحية أو مكنية. ومن أمثالهم فى المفرد قولهم: (سال به الوادى) حيث ضربوه مثلا لحال من أصابه الهلاك[٤٠].

٤- الكناية المستعملة فى لازم معناها، مع جواز إرادة الملزوم، بخلاف الاستعارة. ومن أمثالهم قولهم: (طويل النجاد) حيث ضربوه مثلا لطول القامة.

٥- ما ورد من جوا مع الكلم المشتمل على أبلغ المعانى وأحكم المبانى، فى حديث رسول الله - ﷺ - وكلام الصحابة والتابعين.

٦- التشبيه الذى وجه الشبه فيه عقلى، ويحتاج إلى ضرب من التأول.

٧- الاستعارة التى وجه الشبه فيها عقلى، ولم يكن من المحسوس والغرائز والطباع، مثل قولنا: ضرب النور مثلا للقرآن.

٨ - السنة، ومنه قوله: (ومضى مثل الأولين[٤١]) عن مجاهد.

٩ - العبرة، وفيه قوله: (فجعلناهم سلفا ومثلا) [٤٢] عن مجاهد [٤٣].

١٠ - العقوبة، ومنه قوله: (ومضى مثل الأولين) عن قتادة.

١١- العظة: ومنه قوله: (فجعلناهم سلفا ومثلا) عن قتادة [٤٤].

١٢- الحديث، كما فى القاموس[٤٥].

١٣- الحجة، كما فى القاموس [٤٦].

١٤- الأمر العجيب، ومنه قوله: (وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل) أى أمرا عجيبا كالمثل السائر.

١٥- الآية الدالة على الشىء، ومنه قوله: (وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل) على قول[٤٧]. وعرف الاستعارة التمثيلية باللفظ المركب المستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى.

وصرح بأن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل له [٤٨] وأنه لا يتناول فى كتابه إلا نوعا خاصا من هذه الأمثال، هو

الأمثال التى بمعنى الشيء العجيب، سواء وردت بطريق التشبيه الصريح، أم التشبيه الضمنى أم الاستعارة التمثيلية أم وردت بمعنى الشئ العجيب صفة أو حالا أو قصة (٤٩).

وتتبع د. محمد جابر الفياض ما قيل عن كلمة المثل فى معاجم اللغة، وكتب التفسير والبلاغة، وما قاله فيها من كان له فضل السبق فى بحثها، وناقشهم. وذكر أن الطبرى فسر المثل بمعنى الشبه، فى أكثر ماورد فيه من آيات، وفى بعض الآيات بمعنى العبرة والعظة، والآية والحجة، والصفة، وذات الشيء، وأن ماقاله كان نبراسا للمفسرين الذين جاءوا بعده.

ثم صرح برأيه الخاص فقال: من هذا العرض الشامل لما ذهب إليه اللغويون والمفسرون والبلاغيون والمعنيون بالأمثال من القدماء والمحدثين، فى مادة (م ث ل)بعامة، والمثل منها خاصة، يتضح أن إرجاع المادة إلى غير الشبه بعيد.. وأن المثل من هذه الأسرة اللغوية الموضوعة للمشابهة والمماثلة... وذلك للأمور الآتية:

١- هذه المعانى من مادة (م ث ل) وليست من مادة لغوية أخرى. فالقول بهذه المعانى أولى من القول بغيرها.

٢- إجماع علماء العربية على تفسير المثل بالشبه، وهذه المعانى لا تخرج عن الشبه الذى فسر المثل به.

٣- هذه المعانى من أبرز ما تضمنته مادة (م ث ل) ويمكن أن تلحظ فى أكثر مفردات المادة، بخلاف البروز والشخوص، الذى كاد يقتصر

على مثل يمثل مثولا ... فهو ماثل، واقتصر عليها حين يؤتى بها للدلالة عليه فقط، وإلا فلهذه المفردات ذاتها دلالات أخرى لا أثر للبروز والشخوص فيها.

٤ـ هذه المعانى أخص من الشبه، الذى أجمع علماء العربية على تفسير المثل به. ووضع اليد على الخاص ـ إذا ماتيسر ـ خير من الإشارة إلى العام المطلق.

٥ـ ليس فى المادة اللغوية (م ث ل) مايضاد معانى هذه المفردات، خلافا لمن أرجع المادة إلى الشخوص والبروز . واللفظ الدال على البروز من كل مفردات المادة جاء دالا عليه وعلى نقيضه.

٦ـ وجود الأصل المادى أو إمكان افتراض وجوده: فى المطابقة المادية بين المثال المنقور على قدر طرف العود، وهذا الطرف من العمود الداخل فى المثال: وعمود البيت والحجر الموضوع تحته ـ كيما يثبته ـ من الأمور المتصلة بالحياة العربية البدوية القديمة، فى حين إن إرجاع المثل ومادة (م ث ل) إلى الحكم والسيادة ـ التى قال بها د. عابدين ـ أو البروز والشخوص ـ التى قال بها ابن سنان ـ لا يضع أيدينا على مثل هذا الأصل المادى.

٧ـ تنبيه قسم من علماء العربية المعروفين بطول الباع إلى أن المثل من المثال والتمثيل، فى حين ليس بينهم من ذهب إلى إرجاعه إلى الحكم والسيادة.

٨ـ وضوح العلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى فى تفسير المثل بالمثال ، فالاصطلاح مأخوذ من حذو المضرب أو تمثيله بالمورد الذى اتخذ مثالا له.

٩ـ تفسير المثل بالمثال يجعل مصطلح المثل مما هو عليه، إذ المثال نمط، يمكن أن يطلق على أساليب متباينة من التعبير، كما هو الملاحظ فى الأمثال.

١٠ـ إمكان وضع لفظ المثال فى المواضع التى يرد فيها المثل، وإن لم يكن ضروريا تفسير الألفاظ بما يمكن أن يوضع فى مواضعها.

١١ـ لم يقتصر الأمر على إمكان وضع المثال موضع المثل، وإنما تجاوزه إلى أن أصبح المثال اللفظ الذى تسبق إليه السليقة والبديهة فى تفسير المثل.

١٢ـ إطلاق بعض العلماء لفظ (النموذج) على المثل. وهى معربة عن الكلمة الفارسية (نمونه) المستخدمة فيها بمعنى الأمثال العربية.

هذا كله يؤيد أن المثل هو المثال، والأمثال هى النماذج(٥٠).

وعقد الفياض فصلا خصصه لعلاقة المثل بالتشبيه والتمثيل قال فيه: لا شىء أوثق صلة بالمثل من التشبيه والتمثيل. فقد رأينا أن علماء العربية أجمعوا ـ أوكادوا ـ على أن المثل ـ فى أصل كلام العرب ـ بمعنى الشبه، وأن معناه الاصطلاحى راجع إليه. ولا غرابة فى هذا، والتشبيه ارتبط بالمثل منذ أقدم العصور ارتباطا وثيقا، فظهر التشبيه فى أكثر أشكال المثل، فى اللغات السامية القديمة (٥١).

وإذا كان الباحثون قد جعلوا التشبيه أصلا للمثل.. فإن من بين علماء العربية من أشار إلى مابينه وبين التشبيه والتمثيل من تباين، بعد أن انفصلت البلاغة عن غيرها من علوم العربية. فقد رأينا كيف فسر المثل

بالتشبيه وفسر بعد ذلك؛ بالتمثيل، إلى أن حصر فيما جاء من التمثيل على سبيل الاستعارة، وذاع استعماله بين الناس على هذا النحو لاغير.

ومن هنا كان لابد من الوقوف على ماحد به كل من التشبيه، والتمثيل، والاستعارة التمثيلية، كيما يتضح إذا كانت الأمثال تشبيهات أو تمثيلات أو استعارات تمثيلية، أو أنها أكثر من نوع من هذه الأنواع، فلم تنحصر فى واحد منها دون غيره.

ولو استعرضنا كتب البلاغة، لرأينا البلاغيين صاغوا حدودا عدة للتشبيه، يستطيع المتتبع لها أن يخرج بأن التشبيه: عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر، فى صفة أو عدد من الصفات.

وأما التمثيل فلهم فيه أربعة مذاهب:

الأول: ويرى أصحابه أن ليس هناك من فارق بين التشبيه والتمثيل.

الثانى: وهو مذهب الجمهور، وهم لايشترطون فى التمثيل غير تركيب الوجه، أكان ذلك الوجه حسيا أم غير حسى.

الثالث: وهو مذهب عبد القاهر الجرجانى، ويرى أن التمثيل عقلى، انتزع فيه وجه الشبه من جملة أمور. فنص على كونه عقليا وعلى تركيبه.

الرابع: وهو مذهب السكاكى. وقد لخصه بقوله: واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقى، وكان منتزعا من عدة أمور، خص باسم التمثيل، والحقيقى - عنده - مرادف للعقلى، وغير الحقيقى ما كان وهميا تصوريا.

ومهما يكن من شيء، فقد انتهى جمهور البلاغيين والجرجانى والسكاكى إلى التفريق بين التشبيه والتمثيل، فلم يعد - عندهم - كل تشبيه تمثيلا(٥٢).

والتمثيل قد يجئ بركنيه، وقد يجئ على حد الاستعارة، لحذف المشبه - بعد حذف الأداة والوجه - وبقاء المشبه به، والقرينة الصارفة، فيطلق عليه اسم المجاز المركب، أو التمثيل على سبيل الاستعارة، أو التمثيل مطلقا، أو الاستعارة التمثيلية. وأطلق عليه بعضهم اسم المماثلة.

وقد حصر كثير من البلاغيين الأمثال فى المجازات المركبة أوالاستعارات التمثيلية، غير أن هذا الحصر لا يخلو من مجازفة ومغالاة.

واعتل بأن أكثر أمثال القرآن ذكر فيها المشبه صراحةإلى جانب المشبه به، كقوله: (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة)(٥٣) ولهذا ذهب قسم من البلاغيين إلى تفسير المثل بالتمثيل مطلقا، ماجاء منه بركنيه، وما جاء منه على سبيل الاستعارة. غير أن كثيرا من الأمثال لم تكن تمثيلات، بالمعنى الاصطلاحى للتمثيل، وأنها مجرد تشبيهات بسيطة. والقرآن نفسه أطلق لفظ المثل على بعض التشبيهات غير التمثيلية كقوله: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم..).

ومن هنا يتضح أن التمثيل لا يستوعب جميع أنواع المثل. وربما ضاق مطلق التشبيه بأنواع المثل كلها. فمن الأمثال ما لم تقم على التشبيه ولا سبيل إلى إلحاقها به، أو حملها عليه، كالأمثال الحكمية التى

ورثنا منها الشيء الكثير، حتى ذهب بعض الباحثين إلى أنها قسم من قسمى أمثالنا العربية الموروثة، ومنها قولهم: (من عز بز).

ولو كانت الأمثال تشبيهات وتمثيلات، لكان كل تشبيه أو تمثيل مثلا وليس الأمر كذلك، إذ ليس من الممكن أن يكون كل تشبيه أو تمثيل مثلا. واحتج على ذلك بأن القرآن خص قسما من تشبيهاته وتمثيلاته بلفظ المثل دون غيرها من التشبيهات والتمثيلات، والفرق واضح بين أمثاله وتشبيهاته وتمثيلاته(٥٤).

وعرف د. محمد بكر إسماعيل الاستعارة التمثيلية باللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى؛ وتشبيه التمثيل بما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من عدة أمور - اثنين فما فوق - حسيا كان ذلك الوجه أو غير حسى. فإذا أطلق لفظ التمثيل، انصرف إلى الاستعارة التمثيلية. فإذا أريد التشبيه ذو الوجه المركب، قيل تشبيه التمثيل أو تشبيه تمثيلى(٥٥).

والحق عندى أن المثل فى اللغة أعم مما ذكره علماء البيان، فليس محصورا فى الاستعارة التمثيلية والتشبيه التمثيلى والكناية. وإنما هو قول محكى بليغ يصور المعنى المراد تصويرا دقيقا، لايتأتى فى غيره من الأساليب(٥٦).

وعرف عبد الكريم نيازى المثل بقول بليغ، يرسله حكيم، أو يجرى على لسان واحد من الناس، بقصد أو بغير قصد. فيقع منهم موقعا

حسنا، ويحدث فى قلوبهم تأثيرا ما، ويبعث فى نفوسهم شيئا من العجب والغرابة، مما يحملهم على حكايته، كلما رأوا أو سمعوا شيئا يشبه القصة التى قيل فيها أو الموقف الذى دعا إليه(٥٧) .

الهوامش

(١) البرهان١/٤٨٧ . الفياض ٤٤ . إسماعيل ٣٣٥ . وأتى به غير منسوب : لاشين ٢٤١ وانظر الراغب ٤٦٢ . مدير ٣ .

(٢) المفردات٤٦٢ . العبدلى ١٤ . الفياض٢٠ ، ٤٤ . إسماعيل ٣٣٩ .

(٣) الكشاف١/٧٢ . الزركشى١/ ٤٩٠ . حسين ٢٧ . القطان٢٩١ . شحاتة ٢٤٩-٥٠ . أبو سليمان ١٢١ . العبدلى ١٣ . الفياض ٢٧ - ٩ . وأتى به دون نسبة: ابن تيمية ١٤/ ٥٤ . أبو السعود ١/ ٥٠ . لاشين ٢٣٥ . العمرى ١٦٢ . وانظر مدير ٣ . أمين ٢٢٩ . أبو سليمان ١١٩ . الزين٩ .

(٤) الكشاف١/ ٧٢ . حسين ٢٧ . القطان٢٩١ . شحاتة ٢٥٠ . أبو سليمان ١٢١ . الفياض٢٨ - ٢٩ . وأتى به دون نسبة: أبو السعود ١/ ٥٠ . العبدلى ١٥ . وانظر مدير ٤ . لاشين ٢٣٧ . العمرى ١٦٢ . الزين٩–١٢ .

(٥) الكشاف ١/ ٧٢ . الزركشى ١/ ٤٨٩ - ٩٠ . حسين ٢٧ . القطان . شحاتة ٢٤٩ - ٥٠ . أبو سليمان ١٢١- ٢ . الفياض ٢٨ - ٩ ، ٣٨ ، ٨٤٠ ، ١٥٦ - ٧ ، ٢٤٢ . وأتى به دون نسبة: أبو السعود١/ ٥٠ . لاشين ٢٣٥ ، ٢٣٧ . العمرى ١٦٢ ، ١٦٦ . رضا ١٦٠ - ١ . العبدلى ١٧-٨ . وانظر القاضى ٨٠ . المدخل ٤٩٥ - ٦ . الزين ١١-٢ . إسماعيل٣٤٠ .

(٦) البرهان١/ ٤٩٠ . لاشين ٢٣٥ . الفياض ١٥٩ - ٦٠ .

(٧) مفاتيح ٢٧/ ١٥٣ . الزركشى ١/ ٤٩١ . الفياض١٦٠ . إسماعيل ٣٣٨ .

(٨) الفياض ٣١ . وانظر خليل ١٥٥ . العبدلى ١٥-٦ . الفياض ١٢٤ . إسماعيل٣٤٢ .

(٩) سورة الشورى ١١ .

(١٠) سورة النحل ٦٠ .

(١١) البرهان ١/ ٤٩٠ . الفياض ١٦٠ .

(١٢) روح ١/ ١٦٣ . الفياض ٢٩ ، ٢٤٣ .

(١٣) روح ١/ ١٦٣ . الفياض ٢٩ ، ٢٤٣ .

(١٤) بلاغة ٢٨ - ٩ .

(١٥) بلاغة ٢٧ ، ٢٩ – العبدلى ٦٣ ، ٦٧ . وأتى به دون نسبة : القطان ٢٩٢ . شحاتة٢٥١ . أبو سليمان ١١٩ . إسماعيل ٣٤٤ ،. نيازى ١٧٩ .

(١٦) بلاغة ٢٧ - ٣٠ . العبدلى ٦٣ ، ٦٧ . وأتى به دون نسبة القطان ٢٩٢ . شحاتة٢٥١ ، أبو سليمان ١١٩ . إسماعيل ٣٤٤ . نيازى ١٧٩ . وزاد الأخيران: أم بطريق الكتابة.

(١٧) بلاغة ٣٠ - ١ . وأتى به دون نسبة: القطان ٢٩٢ - ٣ . شحاتة ٢٥٢ . أبو سليمان ١٢٠ . العبدلى٦٧ . سورة الحجرات ١٢ .

(١٨) سورة الحج ٧٣ .

(١٩) بلاغة ٣٠ ـ ١ . وأتى به دون نسبة: القطان ٣٩٣ . شحاتة ٢٥٢ : أبو سليمان١٢٠ . العبدلى ٦٨ . سورة الحجرات ١٢ .
(٢٠) بلاغة ٣٠ . وأتى به دون نسبة: القطان ٢٩٢ . شحاتة ٢٥١ ـ ٢ . العمرى ١٦٢ . أبو سليمان ١١٩ـ٢٠ . إسماعيل ٣٤٤ .
(٢١) سورة النور ٣٥ . وأتى به دون نسبة: القطان ٢٩١ . أمين ٢٢٩ . شحاتة . العمرى ١٦٢ . أبو سليمان ١٢١ . اسماعيل ٣٤١ .
(٢٢) بلاغة ـ٣١ ـ ٢ .
(٢٣) بلاغة ٢٧ . وأتى به دون نسبة: القطان ٢٩١ . شحاتة ٢٥٠ . أبو سليمان ١٢٢ .
(٢٤) الأمثال ٢ـ٧ خاصة، وانظر أمين ٢٢٩ . صميدة ١ـ٢، ٤٥ .
(٢٥) مجلة المجمع ٤ . وانظر العبدلى٦٧ .
(٢٦) نفسها ٥ـ٦ .
(٢٧) مباحث ٢٩٢ . وأتى به دون نسبة: شحاتة ص٢٥١ . أبو سليمان ١١٩ .
(٢٨) مباحث ٢٩٢، وأتى به دون نسبة: شحاتة ٢٥١ . أبو سليمان ١١٩ . نيازى ١٧٩ .
(٢٩) من روائع ٢٠٨ .
(٣٠) نفسه .
(٣١) دراسات ١٥٤ .
(٣٢) دراسات ١٥٤ ـ ٥ .
(٣٣) دراسات ١٥٤ .
(٣٤) دراسات ١٥٦ .
(٣٥) المدخل ٤٩٦ .
(٣٦) أمثال ٢٤ .
(٣٧) أمثال ٢٦ . وانظر العبدلى ١٦٥ .
(٣٨) الأمثال ١٤ ـ ٦ .
(٣٩) الأمثال ١٦ . الزين ١١ .
(٤٠) الأمثال ١٧ . وانظر الفياض ١٢٤ ومابعدها .
(٤١) سورة الزخرف ٨ .
(٤٢) سورة الزخرف ٥٦ .
(٤٣) الأمثال ١٩ . الزين ١٠ ـ ١ الفياض ٢١ .
(٤٤) الأمثال ١٩ . الفياض ٢٣ .
(٤٥) الأمثال ١٩ . الفياض ٢١ ـ ٣ .

(٤٦) الأمثال ١٩ . الفياض ٢١ ـ ٣ .
(٤٧) الأمثال ١٦ ـ ٩ . الفياض ٢١ ـ ٣ . إسماعيل ٣٤٠ .
(٤٨) الأمثال ٦٦ .
(٤٩) الأمثال ٢٦ .
(٥٠) الأمثال ٥١ ـ ٨ .
(٥١) الأمثال١٢١ .
(٥٢) الامثال ١٢٤ ـ ٧ .
(٥٣) الأمثال ١٢٧ ـ ٩ .
(٥٤) الأمثال ١٢٩ ـ ٣٠ .
(٥٥) دراسات ٣٤٢ ـ ٣ .
(٥٦) درسات ٣٤٣ .
(٥٧) القرآن ١٩١ .

١٤ ـ امتنان الله بها

استنبط السيوطى من قوله تعالى فى الآية ٤٥ من سورة إبراهيم (وضربنا لكم الأمثال) أن الله امتن علينا بذلك. لما تضمنته من الفوائد[١].

وقال د. الحسينى أبو فرحة: امتن الله على عباده بضرب الأمثال، لما لها من عظيم الأثر فى التربية والإصلاح والتبشير والإنذار[٢].

ورأى سميح عاطف الزين أنها دليل رحمته بهم[٣].

وذهب د. الفياض إلى أن الله امتن على الناس بضربها لهم، وبتصريفها أيضا، مستدلا بالآية ٨٩ من سورة الإسراء و٥٤ من سورة الكهف[٤].

الهوامش

(١) معترك ١/ ٤٦٥ . الإتقان ٢/٣٦٥ . وأتى به غير منسوب: القاضى٨٠ . أبو سليمان ١١٨ . وانظر لاشين ٢٤٢ .

(٢) مأدبة ٣٧١ .

(٣) الأمثال ٣٣ . وأتى به دون نسبة: سعيد ٩ .

(٤) الأمثال ٢٩٠ .

١٥. التفرقة بين الأمثال القرآنية وغيرها

تصدى البوطى للتفرقة بين الأمثال والقصص. فذكر أن بينهما فارقا كبيرا، وإن جمعهما قدر مشترك من تنبيه الذهن إلى أخذ العبرة، وقياس الحال على الحال.

فالأمثال لا تشترط صحتها على أنها واقعة تاريخية ثابتة. وإنما يشترط فقط إمكان صحتها أى وقوعها. ومع ذلك لا يشترط عدم صحتها فى نطاق الواقع التاريخى فربما ضرب المثل بقصة واقعة. وفى القرآن من ذلك كثير. وإنما تسمى القصة عندئذ تمثيلا لأنها سيقت مساق التمثيل بها، ولم تورد على أساس الإخبار عنها[١].

وفرق بينهما وبين الأمثال العادية كذلك. فقال: تأخذ الأمثال - فى أغلب الأحيان - طابع القصة فى عرض الجزئيات وتفصيل صفاتها،

وذلك على خلاف المألوف عند العرب من تكثيف المثال وعرضه فى أقل قدر ممكن من الكلمات. ولكن القرآن عندما يضرب بالسراب المثل، يبسط منه صورة حية يتراءى فيها كيف ينخدع الظمآن به، ثم يسعى وراءه، حتى إذا جاءه فوجئ بأنه ليس شيئا، ووجد بدلا عنه ثمرة انخداعه من الجهد الضائع والانقطاع عن الرفقة والطريق[٢].

وفرق د. فؤاد على رضا بينها وبين الرمز. فأعلن: الرمز فى القرآن - سواء كان بالكلمة أو بالحرف أو بالجملة التى تحمل معانى محجوبة بعيدة الأغوار - لا يعلم مكنونها إلا من كشف الله له الحجاب، واقترب بفضل من الله - إلى الصواب. فعرف عن الإيماءة والاشارة بعض فهم إلى مايشير إليه الحق - تبارك. فالتراكيب هنا والمفردات التى لا يقال عنها إنها أمثال فى القرآن، برغم أنها مشتركة مع الأمثال فى كونها دلالات يتبينها فقط ذوو البصائر الذين يتدبرون كلام الله. فإن كانت الأمثال لكل العقلاء لأنها حقيقة مجردة واضحة، فإن آيات الرمز هى ماوراء القدر المشترك من الفهم بين الناس إلى ما يدركه أصحاب البصائر النافذة والعقول الراجحة من معان أخر[٣].

الهوامش

(١) من روائع ٢٠٨.
(٢) من روائع ٢٠٩ - ١٠. الحمصى ٤١٨.
(٣) من علوم ١٦٣.

١٦. المقارنة بينها وبين الأمثال التوراتية

عقد د. محمد جابر الفياض فصلا كاملا للمقارنة بين أمثال القرآن بأمثال العهدين القديم (التوراة) والجديد (الانجيل) وأمثال الجاهلية.

وأعلن أنها جميعا اتفقت فى الاهتمام بالأمثال، واحتفت بها، وأكثرت من ضربها[١].

وقد رأينا أن القرآن اقتصر فى إطلاق لفظ المثل على أمثال التشبيه والتمثيل والمقارنة والموازنة، ما كان منها صورة مجازية قصيرة، أو حكاية وقصة.. ولهذه الأمثال ما يناظرها فى العهدين وفى الجاهلية.

ففى العهد القديم ١٥ مثلا من هذا النوع، كمثل ناثان لداود.

أما أمثال العهد الجديد، فإن جميع الأمثال التى ورد فى نصوصها مايشير إلى مثليتها أمثال تمثيلية وقصصية، على غرار ما رأيناه فى

أمثال القرآن التى صرح بمثليتها. وقد بلغ عدد ما صرحت الاناجيل بمثليته منها ٣٠ مثلا، كمثل العاقل والجاهل.

وفيه أمثال تشبيه وتمثيل وقصص، لم يصرح فيها بمثليتها، ولا تكاد تختلف عن هذه فى شىء، اللهم إلا فى عدم ذكر لفظ المثل فيه. ويزيد عددها على عدد الأمثال الصريحة قليلا. ومن هنا اختلف الباحثون فى عدد أمثال التمثيل. ومهما يكن من شئ، ففى العهد الجديد ما يماثل أمثال القرآن. ويكفى فى هذا النظر فى الأمثال المصرح بمثليتها فيهما.

أما أمثال الجاهلية فإن أكثرها تشبيهات وتمثيلات وقصص. ويكفى أن المثل فى الاصطلاح العربى هو القول السائر الممثل مضربه بمورده، والحكم السائرة أو القائم صدقها فى العقول.

ومن هذا كله يتضح أن لأمثال القرآن ما يناظرها - من حيث الشكل العام - فى العهدين القديم والجديد وأمثال الجاهلية، غير أن لكل منهما سماتها الخاصة بها التى تميزها عن غيرها[٢].

وإذا تجاوزنا إلى الموضوعات التى عالجتها، والأفكار التى عبرت عنها، نجد أن أمثال القرآن تناولت كثيرا من مسائل الشريعة الإسلامية[٣] ... وتناولت أمثال العهد القديم قدرة الله، وتعالى فرعون،، وفساد السامرة وأورشليم، والاخياروالأشراف والجشع الإنسانى، وغرور الرؤساء.

أما أمثال العهد الجديد فقد تناول كثير منها ملكوت الله أو ملكوت السماوات، وكلمة الإيمان ومالها من قيمة، والعالم الأرضى واختلاط الخير والشرفية، وما ينبغى أن يبذل فى هذا العالم من الاستعداد للقاء

الله فى العالم الآخر، وانتفاع المتعلم بكنز علمه. واتجهت طائفة من هذه الأمثال إلى العالم الآخر. وتناولت موضوعات العهد الجديد موضوعات متنوعة. ولا نبعد إذا قلنا: إن أمثال العهد الجديد تناولت أكثر مابشر به السيد المسيح من تعاليم.

ومن هنا، فإن أمثال هذا العهد أقرب إلى الأمثال القرآنية من حيث كثرة ما تناولته من موضوعات، وعبرت عنه من أفكار - من أمثال العهد القديم. أما أمثال العهد القديم، فإنها - فضلا عن قلة ما تناولته من موضوعات اذا قيست بأمثال القرآن والعهد الجديد - لم تتناول العالم الآخر.

وعلى أية حال، فإذ كانت قد التقت أمثال هذه الكتب فى شىء، فقد التقت فى المعانى العامة، والحديث عن الخير والأخيار، والشر والأشرار، والمطيعين والعصاة، وقدرة الله، والتحذير من عقوبته. وتباينت - بعد ذلك - فى تفاصيل ما تحدثت عنه.

أما أمثال الجاهلية فقد ضمنها الجاهليون كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم وملاحظاتهم. فأوضحوا بها كثيرا مما يحبون ويكرهون. ومع أنها لم تتناول خصوصيات ما جاءت به الكتب الثلاثة، فقد ورد فيها من المعانى العامة ما يماثل أمثال هذه الكتب (٤).

ثم تناول وجوه الاختلاف بينها فقال: لعل من أبرز ما يلفت النظر فى أمثال العهد القديم أن بعضها جاء صورا فاحشة مجانبة للاحتشام، منها على سبيل المثال تمثيل أورشليم بلقيط وما كان من أمره. وفى أمثال الجاهلية عدد غير قليل من مثل هذه الأمثال، ومنها ما هو أمعن

فى الفحش والإقناع. وقد خلت أمثال القرآن من مثل هذا وتنزهت عنه، وكذلك أمثال العهد الجديد[٥].

وتجلى الغموض فى غير قليل من أمثال العهد القديم حتى إن من الباحثين من ذهب إلى القول بإطلاق المثل - فى اللغة العبرية - على اللغز، أو المثل الذى يحتاج فهمه إلى شرح وإيضاح. كذلك بد ت ظاهرة الغموض هذه فى عدد من أمثال العهد الجديد، وغير قليل من أمثال الجاهلية. وانتهى إلى القول بأن أمثال الجاهلية والقرآن قد جانبت الغموض والإبهام خلافا لبعض أمثال العهدين [٦]. وكان لهذا الغموض أثره الواضح فى اهتزاز صور غير قليل من الأمثال فيهما، وفى أمثال العهد القديم على وجه الخصوص. وعلى الرغم من ذلك، فى أمثال العهد القديم صور جميلة، واضحة المعالم، بارزة القسمات، وفقت فيما أريد لها أن توفق إليه[٧]. أما فى العهد الجديد فقد اتسمت اكثر الصور - التى مثل بها السيد المسيح - بالوضوح والجمال والدقة، حتى تلك التى مثل بها الملكوت، رغم ما أحاط هذا اللفظ من غموض وإبهام. أما الصورة فى الأمثال القرآنية، فقد شهد لها الباحثون - قديمهم وحديثهم، المسلمون منهم وغير المسلمين - بالدقة والبراعة والروعة.

ومهما يكن من شىء، فإن براعة الأمثال القرآنية، ودقة التصوير والتعبير فيها، واختلافها فى جزئيات التمثيل عما يماثلها من قريب أو بعيد - من أمثال العهدين، لا تنفى ما بين هذه الأمثال من تشابه، حاد بغير قليل من الباحثين المستشرقين عن التزام الموضوعية فى تقرير الحقائق وتعليل الظواهر. فقد غالى هؤلاء فعدوا الأمثال القرآنية التى

أشبهت - من قريب أو بعيد - أمثالا من العهدين مأخوذة عنهما، واتخذوها سندا لما زعموه من اطلاع الرسول على العهدين، وأخذه لهذه الأمثال عنهما[٩].

وانفرد العهد القديم باطلاق لفظ المثل على التنبؤات مثل نبوءات بلعام بن باعوراء ، تلك النبوءات التى كثرت فيها عبارات التشبيه. أما أمثال القرآن والعهد الجديد فقد خلت من مثل هذه النبوءات كما خلت منها أمثال الجاهلية[١٠].

وأشار الباحثون إلى وجود أمثال خرافية فى العهد القديم، وتضمنه عددا منها. وفى أمثال الجاهلية كثير من الأمثال الخرافية، وإن لم يكن من السهولة البت فى جاهلية كل ما ورد منها. ويبدو أن العرب أميل إلى الخرافات الحيوانية منهم إلى الخرافات النباتية. وربما يرجع هذا إلى طبيعة حياتهم البدوية التى تباين حياة العبريين الزراعية. أما أمثال القرآن والعهد الجديد فلم يرد فيها مثل خرافى واحد[١١].

وأورد العهد القديم عددا من الأمثال الشعبية العفوية، على ما هى عليه من غير صقل لها. وورد فيه مثلان شعبيان بدت فيهما آثار الصقل والقصد. أما العهد الجديد فلم يرد فيه من الأمثال الشعبية العفوية غير مثل واحد. وورد فيه مثلان مقصودان مصقولان. فى حين لم يرد فى القرآن شىء من الأمثال العفوية، كما لم يرد فيه من الأمثال المقصودة غير مثل الجمل وولوجه فى سم الخياط (ثقب الإبرة) وهو ما لم يصرح بمثليته. وأما أمثال الجاهلية فالكثرة المطلقة من أقوالهم

الموجزة السائرة - حكمية كانت أو غير حكمية - أمثال شعبية، بين عفوية ومقصودة(١٢).

وتضمن العهد القديم سفرا كبيرا سمى بسفر الأمثال، اشتمل على ٣١ إصحاحا. وأطلق على كل الحكم والأقوال المختارة والجمل الجامعة فى السفر، من أقوال سليمان وغيره من الحكماء لفظ المثل. فهى - لهذا - أمثال حكمية. ويعزز هذا ما أفتتح به السفر من أنه تضمن (أمثال سليمان بن داود، ملك إسرائيل، لمعرفة حكمة وأدب..).

أما العهد الجديد فقد تضمن كثيرا من الأمثال الحكمية، والجمل الجامعة والأجوبة المسكتة.

وتضمنت الأمثال الجاهلية كثيرا من الحكم حتى إن الباحثين عدوا كل حكمة سائرة مثلا.

كذلك تضمن القرآن كثيرا مما لا يخامرنى أدنى شك فى أنه من أبلغ الحكم كقوله: ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾(١٣) وغيره مما سماه العرب أمثالا سائرة أو كامنة أو جارية مجرى الأمثال السائرة، وأكثروا مما أوردوه منها فى كتبهم. غير أن القرآن لم يطلق لفظ المثل على هذه الآيات أو أجزائها أو ما ماثلها، كما لا يمكن حملها وقياسها على ما صرح القرآن بمثليته. ومن هنا فليس بوسعنا عدها أمثالا قرآنية، وإن رددتها الناس، وتمثلت بها، وجاءت مشابهة لما يعهدونه فى أمثالهم(١٤).

وهناك ظواهر أخرى يمكن أن تتجلى للباحث من خلال المقارنة، منها أن بعض أمثال التمثيل فى العهد القديم صدرت بفعل الطلب (اضرب) أو (مثّل). ونسب ضرب هذه الأمثال إلى الله، على غرار ما يلاحظ فى غير قليل من أمثال القرآن. وذلك خلافا لأمثال العهد الجديد والجاهلية. هذا وقد انفرد القرآن باستخدام لفظ المثل فى الأمثال ذاتها استعمالات مختلفة طبعت أمثاله بسمات خاصة(١٥).

أما د. محمود على صميدة فقد خصص بحثه كله للمقارنة بين الأمثال القرآنية والأمثال التوراتية. غير أنه اعتمد فيه اعتمادا كاملا على د. عبد المجيد عابدين ود. محمد جابر الفياض، ولم يضف إليهما شيئا يذكر. والحق إن د. الفياض نفسه اعتمد على د. عابدين، والتقط كل ما قال – على وجه التقريب – من مواضع متفرقة من كتابه، ثم جمعها معا من أجل المقارنة الصريحة.

الهوامش

(١) الأمثال ٤٠٥ ـ ١٢ . وانظر صميدة ٣٠ ـ ١ .
(٢) الأمثال ٤١٢ ـ ٥ .
(٣) الأمثال ٤٧٠ ـ ١ . صميدة ٢٩ .
(٤) الأمثال ٤٧٢ . صميدة ٢٩ ـ ٣٠ .
(٥) الأمثال ٤١٥ ـ ٦ . صميدة ٣٧ ـ ٨ ، ٤٧ .
(٦) الأمثال ٤١٦ ـ ٢٥ .
(٧) الأمثال ٤٢٩ ـ ٣٠ . وانظر ٤٣٢ .
(٨) الأمثال ٤٣٥ ـ ٤٢ .
(٩) الأمثال ٤٦٢ وما بعدها
(١٠) الأمثال ٤٧٢ .
(١١) الأمثال ٤٧٣ ـ ٤ وانظر صميدة ٤١ ـ ٢ ، ٤٧ .
(١٢) الأمثال ٤٧٣ ـ ٦ . وانظر صميدة ٣ ـ ٦ ، ٤٣ ، ٤٧ .
(١٣) سورة البقرة ١٧٩ .
(١٤) الأمثال ٤٧٧ ـ ٩ . وانظر صميدة ٢ ، ٦ـ٧ ، ٤٤ـ٧ .
(١٥) الأمثال ٤٢٧ ـ ٨ .

الوفيات*

- الآلوسي - شهاب الدين محمود بن عبد الله - ١٢١٧ - ١٢٧٠/ ١٨٠٢ - ١٨٥٤.

- الأبشيهي - محمد بن أحمد ٧٩٠ - ٨٥٢/ ١٣٨٨ - ١٤٤٨.

- ابن أبي الإصبع - عبد العظيم بن عبد الواحد ٥٩٢ - ٦٥٤/ ١١٩٨ - ١٢٥٦.

- ابن الأثير - نصر الله بن محمد - ٥٥٨ - ٦٣٧ / ١١٦٣ - ١٢٣٩.

- ابن تيمية - أحمد بن عبد الحليم - ٦٦١ - ٧٢٨/ ١٢٦٣ - ١٣٢٨.

- ابن جبر - مجاهد - ٢١ - ١٠٤ / ٦٤٢ - ٧٢٢/.

- ابن الجوزي - عبد الرحمن بن علي - ٥٠٨ - ٥٩٧/ ١١١٤ - ١٢٠١.

---

* أوردت هذه القائمة ليتمكن القارئ من التتبع التاريخي للأفكار، بدلا من ذكر التواريخ في كل مرة يرد فيها أحد الأعلام.

- ابن الحنبلى - ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم الجزرى - ٥٥٤-٦٣٤/ ١١٥٩ - ١٢٣٦.

- ابن خلاد الرامهرمزى - الحسن بن عبد الله - نحو ٣٦٠/ ٩٧٠.

- ابن دريد - محمد بن الحسن ٢٢٣ - ٣٢١ / ٨٣٨ - ٩٣٣.

- ابن رشيق القيروانى - الحسن - ٣٩٠ - ٤٦٣/ ١٠٠٠ - ١٠٧١.

- ابن سنان الخفاجى - عبد الله بن محمد - ٤٠٣ - ٤٦٦ / ١٠٣٢ - ١٠٧٣.

- ابن شمس الخلافة - جعفر بن محمد الأفضلى - ٥٤٣ - ٦٢٢ / ١١٤٨ - ١٢٢٥.

- ابن شهاب الزهرى - محمد بن مسلم - ٥٨ - ١٢٤ / ٦٧٨ - ٧٤٢.

- ابن عباس - عبد الله - ٣ق. هـ - ٦٨/ ٦١٩ - ٦٨٧.

- ابن عبد البر - يوسف بن عبد الله - ٣٦٨ - ٤٦٣/ ٩٧٨ - ١٠٧١

- ابن عبد ربه - أحمد بن محمد - ٢٤٦ - ٣٢٨ / ٨٦٠ - ٩٤٠.

- ابن عبد السلام - عز الدين عبد العزيز - ٥٧٧ - ٦٦٠ / ١١٨١ - ١٢٦٢.

- ابن العربى - أبو بكر محمد بن عبد الله - ٤٦٨ - ٥٤٣/ ١٠٧٦ - ١١٤٨.

- ابن الفضل - الحسين - ١٧٨ - ٢٨٢ / ٧٩٤ - ٨٩٦.

- ابن قيم الجوزية - محمد بن أبي بكر - ٦٩١ - ٧٥١/ ١٢٩٢ ١٣٥٠ .

- ابن كثير - إسماعيل بن عمر - ٧٠١ - ٧٧٤/ ١٣٠٢ - ١٣٧٣ .

- ابن مسعود - عبد الله - ٣٢/ ٦٥٣ .

- أبو السعود - محمد بن محمد العمادى - ٨٩٨ - ٩٨٢/ ١٤٩٣ - ١٥٧٤ .

- أبو عبيد - القاسم بن سلام - ١٥٧ - ٢٢٤/ ٧٧٤ - ٧٣٨

- أبو هريرة - عبد الرحمن بن صخر الدوسى - ٢١ق. هـ - ٥٩/ ٦٠٢ - ٦٧٩.

- الباقلانى - محمد بن الطيب - ٣٣٨ - ٤٠٣/ ٩٥٠ - ١٠١٣ .

- البصراوى - الحسن بن يسار - ٢١ - ١١٠ / ٦٤٢ - ٧٢٨ .

- الثعالبى - عبد الملك بن محمد - ٣٥٠ - ٤٢٩/ ٩٦١ - ١٠٣٨ .

- الجرجانى - عبد القاهر بن عبد الرحمن - ٤٧١ / ١٠٧٨ .

- الحسينى - هبة الدين محمد على بن حسين الشهرستانى - ١٣٠١ - ١٣٨٦ / ١٨٨٤ - ١٩٦٧ .

- الحكيم الترمذى - محمد بن على - ٣٢٠/ ٩٣٢ .

- الخولى - أمين - ١٣١٣ - ١٣٨٥/ ١٨٩٥ - ١٩٦٦ .

- الرازى - فخر الدين محمد بن عمر - ٥٤٤ - ٦٠٦ / ١١٥٠ – ١٢١٠ .

- الراغب الاصفهانى - الحسين بن محمد - ٥٠٢/ ١١٠٨ .

- الرافعى - مصطفى صادق - ١٢٩٨ - ١٣٥٦ / ١٨٨١ - ١٩٣٧ .

- الزركشي - محمد بن عبد الله - ٧٤٥ - ٧٩٤/ ١٣٤٤ - ١٣٩٢.

- الزمخشري - جار الله محمود بن عمر - ٤٦٧ - ٥٣٨/ ١٠٧٥ - ١١٤٤.

- السدوسي - قتادة بن دعامة - ٦١ - ١١٨ / ٦٨٠ - ٧٣٦.

- السكاكي - يوسف بن أبي بكر - ٥٥٥ - ٦٢٦/ ١١٦٠ - ١٢٢٦.

- السيوطي - عبد الرحمن بن أبي بكر - ٨٤٩ - ٩١١/ ١٤٤٥ - ١٥٠٥.

- الشافعي - محمد بن إدريس - ٥٠ - ٢٠٤/ ٧٦٧ ١ ٨٢٠.

- الشبيبي - محمد رضا - ١٣٠٦ - ١٣٨٥/ ١٨٨٩ - ١٩٦٥.

- الشريف الرضي - محمد بن الحسين - ٣٥٩ - ٤٠٦/ ٩٧٠ - ١٠١٥

- الشوكاني - محمد بن علي - ١١٧٣ - ١٢٥٠ / ١٧٦٠ - ١٨٣٤.

- الطبري - محمد بن جرير - ٢٢٤ - ٣١٠ / ٨٣٩ - ٩٢٣.

- عبده - محمد بن حسن خير الله - ١٢٦٦ - ١٣٢٣/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥.

- الفارابي - إسحاق بن إبراهيم - نحو ٣٥٠/ ٩٦١.

- القرطبي - محمد بن أحمد - ٦٧١/ ١٢٧٣.

- الماوردي - علي بن محمد - ٣٦٤ - ٤٥٠/ ٩٧٤ - ١٠٥٨.

- النخجواني - نعمة الله بن محمود - ٩٢٠/ ١٥١٤.

- النخعي - إبراهيم بن يزيد - ٤٦ - ٩٦/ ٦٦ - ٧١٥.

- النظام - إبراهيم بن سيار - ٢٣١ / ٨٤٥.

- النويرى - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب - ٦٧٧ - ٧٣٣ / ١٢٧٨ - ١٣٣٣ .

- الهاشمي - أحمد بن إبراهيم - ١٢٩٥ - ١٣٦٢ / ١٨٧٨ - ١٩٤٣ .

- اليحصبى - عياض بن موسى - ٤٧٦ - ٥٤٤/ ١٠٨٣ - ١١٤٩ .

المصادر*

- الآلوسى - محمود بن عبد الله : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - بيروت - دار الفكر - ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .
- الابشيهى - محمد بن أحمد: المستظرف فى كل فن مستظرف - مصر - المطبعة المحمودية التجارية - ١٩٤٨ .
- ابن أبى الاصبع - عبد العظيم بن عبد الواحد: بديع القرآن - القاهرة - دار نهضة مصر - ط٢ .
- ابن تيمية - أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى .
- ابن الجوزى - عبد الرحمن بن على: المدهش فى علوم القرآن والحديث واللغة - بغداد - مطبعة الآداب - ١٣٤٨ .

*يؤسفنى أن أفقد بيانات بعض المصادر بسبب انتقالى من السعودية إلى مصر، فاكتفيت بذكر عناوين الكتب أحياناً.

- ابن رشيق القيروانى - الحسن: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده - لبنان - بيروت - دار الجيل - ط ٤ - ١٩٧٢ .
- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة - مصر - مطبعة محمد على صبيح - ١٣٧٢ /١٩٥٢ .
- ابن الشريف - محمود: الأمثال فى القرآن - السعودية - دار عكاظ - ١٣٩٦/ ١٩٧٩- ألفه سنة ١٩٦٥ .
- ابن شمس الخلافة - جعفر بن محمد الأفضلي: الآداب - مصر - مكتبة الخانجي - ط٢ - ١٤١٤/ ١٩٩٣ .
- ابن عبد ربه: العقد الفريد - مصر - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط ٢ - ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .
- ابن قيم الجوزية - محمد بن أبى بكر: أمثال القرآن - السعودية - مكة المكرمة - مطابع الصفا - ١٤٠٢/١٩٨٢
: إعلام الموقعين عن رب العالمين - مصر - مطبعة السعادة - ط١ - ١٣٧٤/ ١٩٥٥ .
- ابن كثير - إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم - لبنان - بيروت - دار المعرفة - ١٤٠٥/ ١٩٨٤ .
- ابن مسعود - عبد الله: تفسيره - شركة الطباعة العربية السعودية - ط١ - ١٤٠٥/ ١٩٨٥ .
- أبو زهرة - محمد: المعجزة الكبرى - مصر - دار الفكر العربى - د. ت.
- أبو السعود - محمد بن محمد العمادى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربى.

- أبو سليمان - صابر حسن محمد: مورد الظمآن فى علوم القرآن - مصر - الدار السلفية - ط١- ١٤٠٤ /١٩٨٤ .

- أبو فرحة - الحسينى : مأدبة الله - مصر . الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - ١٤٠٤/١٩٨٤ .

- د. إسماعيل - شعبان محمد: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية - مصر - دار الأنصار- ط١ - ١٤٠٠/١٩٠ .

- د. إسماعيل - محمد بكر: دراسات فى علوم القرآن - دار المنار - ط١ - ١٤١١/ ١٩٩١ .

- د. أمين - بكرى شيخ : التعبير الفنى فى القرآن - دار الشروق - ط٢ - ١٣٩٦/ ١٩٧٦ .

- الباقلانى - محمد بن الطيب: إعجاز القرآن - مصر - دار المعارف - ط٤ - ١٩٧٧ .

- د. البوطى - محمد سعيد رمضان : من روائع القرآن - مكتبة الفارابى - ط٣ - شعبان ١٣٩٢/ أيلول ١٩٧٢ .

- د. البواب - على حسين : الأمثال .

- الترمذى - محمد بن على الحكيم: تحصيل نظائر القرآن .

- تنوير - عبد الحق: أمثال القرآن وأثرها فى الأدب العربى إلى القرن الثالث الهجرى - رسالة قدمت إلى كلية دار العلوم، ونوقشت فى ٤ رمضان ١٣٨١/٩ فبراير ١٩٦٢ .

- الثعالبى - عبد الملك بن محمد: الإعجاز والإيجاز.
: التمثيل والمحاضرة - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو - مصر - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٨١/ ١٩٦.
- الجرجانى - عبد القاهر بن عبد الرحمن: أسرار البلاغة - جدة - دار المدنى - ط١ - ١٤١٢/١٩٩١.
- جمال - أحمد محمد: القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته - سلسلة دعوة الحق - السنة الخامسة - العدد ٥٦ - ذو القعدة ١٤٠٦ - أغسطس ١٩٨٦.
- الجندى - عبدالحليم: القرآن والمنهج العلمى المعاصر - مصر - دار المعارف - ١٤٠٤/ ١٩٨٤.
- د. الجوينى - مصطفى الصاوى: منهج الزمخشرى
- حبنكة - عبد الرحمن حسن الميدانى: الأمثال القرآنية - بيروت - دار القلم - ١٤٠٠/١٩٨٠.
- حسين - محمد الخضر: بلاغة القرآن - طبع ونشر على الرضا التونسى - ١٣٩١/١٩٧١.
- الحكيم الترمذى - محمد بن على.
- الحمصى - نعيم: فكرة إعجاز القرآن - لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٢ - ١٤٠٠/١٩٨٠.
- خليل - السيد أحمد: دراسات فى القرآن - مصر - دار المعارف ١٩٧٢.

- الخياط - عبد الرحيم بن محمد: الأنتصار والرد على ابن الروندى الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم - بيروت - المطبعة الكاثوليكية - ١٩٥٧.

- الرازى - فخر الدين محمد بن عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) - طهران - دار الكتب العلمية. ط٢.

- الراغب الاصبهانى - الحسين بن محد: المفردات فى غريب القرآن - لبنان - بيروت - دار المعرفة.

- الرافعى - مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - لبنان - بيروت - دار الكتاب العربى.

- رضا - فؤاد على: من علوم القرآن - مكتبة مدبولى بالقاهرة ودار اقرأ ببيروت - ١٩٨٢/ ١٤٠٢.

- الزركشى - محمد بن عبد الله: البرهان فى علوم القرآن - لبنان - دار المعرفة - د. ت.

- الزمخشرى - محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - دار الفكر - ط١ - ١٣٩٧/١٩٧٧.

- الزين - سميح عاطف : الأمثال.

- د. سعيد - محمد رأفت: دلالات.

- د. سلطان - منير: إعجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة - مصر - الاسكندرية - مطبعة الكاتب المصرى - ١٩٧٦.

- السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن بن أى بكر: الاتقان فى علوم القرآن - مصر - المطبعة الموسوية - ١٢٨٧ .

: معترك الاقران فى إعجاز القرآن - لبنان - بيروت - دار المعرفة - د، ت.

- د، شحاتة - عبد الله : علوم القرآن والتفسير - مصر - دار العلوم للطباعة — ١٩٨٠ .

- د. شرف الدين - صالحة عبد الحكيم: القرآن الحكيم: إعجازه وبلاغته وعلومه - الكويت - مطابع كويت تايمز - رجب ١٤٠٤/ ابريل ١٩٨٤.

- الشريف الرضى - محمد بن الحسين: تلخيص البيان فى مجازات القرآن - مصر - مطبعة عيسى البابى الحلبى - ط١ - ١٩٥٥/ ١٣٧٤ .

- الشوكانى - محمد بن على: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير - دار الفكر - ط٣ - ١٩٧٣/ ١٣٩٣ .

- د. صميدة - محمود على: الأمثال.

- الطبرى - محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن - لبنان - بيروت - دار الفكر - ط٤ - ١٤٠٠/ ١٩٨٠ .

- د، عابدين - عبد المجيد: الأمثال فى النثر العربى القديم - مكتبة مصر - ١٩٦٥.

- العبدلى - الشريف منصور بن عون: الأمثال.

- عبده - محمد: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا - بيروت - دار المعرفة.
- عرجون - محمد الصادق: القرآن العظيم - مصر - دار الاتحاد العربى للطباعة - ١٣٨٦/ ١٩٦٦.
- د. عسكر - إحسان : فنون التبليغ القرآنى ونظرياته - مصر - دار الاتحاد العربى للطباعة - ط١ - ١٤٠٦/١٩٨٦.
- العمرانى - عبدالحى: هذا القرآن - المغرب - المحمدية - مطابع فضالة - ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
- د. العمرى - أحمد جمال: مباحث فى إعجاز القرآن - مصر - مكتبة الشباب - ١٩٨٠.
- الغزالى - محمد: نظرات فى القرآن - مصر - مطبعة حسان - ط٥.
- الفارابى - إسحاق بن إبراهيم : ديوان الأدب.
- فقيهى - محمد حنيف: نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجانى - بيروت - صيدا - المكتبة العصرية - ١٤٠٧/ ١٩٨٧.
- د. الفياض - محمد جابر : الأمثال فى القرآن الكريم - بغداد - مطابع الشؤون الثقافية العامة - ط١ - ١٩٨٨.
- القاضى - عبد الفتاح: من علوم القرآن - منشورات مكتبة الكليات الأزهرية - ط٢ - ١٣٩٦/ ١٩٧٦.
- القاضى - منير : المثل.
- القطان - مناع: مباحث فى علوم القرآن - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٤ - ١٣٩٦/ ١٩٧٦.

- قمحاوى - محمد الصادق: الايجاز والبيان فى علوم القرآن - مصر - مكتبة عالم الفكر - ١٩٨٠،

- القيروانى - الحسن بن رشيق.

- د. لاشين - عبد الفتاح: بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبدالجبار وأثره فى الدراسات البلاغية - مصر - مطبعة دارالقرآن - ١٩٧٨ .

- لاشين - موسى شاهين : اللآلئ الحسان فى علوم القرآن - مصر دار التأليف - ١٣٨٨/ ١٩٦٨ .

- النخجوانى - نعمة الله بن محمود الشهير بالشيخ علوان: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية - اسطنبول.

- النويرى - أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأدب فى فنون الأدب. مصر - دار الكتب.

- نيازى - عبد الكريم: القرآن الكريم: معجزة وتشريع - مطبوعات نادى مكة الثقافى الأدبى - ط٢ - ١٤١٢ .

- الهاشمى - أحمد بن إبراهيم: جواهر الأدب فى صناعة إنشاء العرب - مصر - مطبعة النيل - ١٣١٩ .

- اليحصبى - عياض بن موسى: الشفا بتعريف حقوق المصطفى - دار الوفا للطباعة والنشر - د. ت.

الفهـــــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٨٥٦ / ٢٠٠١

I. S. B. N 977 - 01 - 7361 - 4